الغاية القصوى في الكلام على آية التقوى

للشيخ العلامة
تاج الدين عمر بن علي اللخمي الإسكندراني المالكي
المعروف بالفاكهاني
(٦٥٤ - ٧٣٤هـ)

تحقيق وتعليق
محمد يحيى بيدق

مؤسسة الريان
للطباعة والنشر والتوزيع

جَمِيع الحُقوق محْفوظة

الطبعة الأولى
١٤١٥هـ - ١٩٩٥م

مؤسسة الريان
للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - ص.ب ١٤/٥١٣٦ السجل التجاري في بيروت رقم ٥ / ٧٤٢١

ومضة من نور

روى ابن أبي حاتم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:
إن أكبر آية في القرآن فرجاً

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ (١)

---

(١) تفسير ابن كثير /٤/٤٠١ .

مقدمة المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده، ونستعين به ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي، ومن يُضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، والصلاة والسلام على إمام المؤمنين، وسيد المتقين، وخاتم المرسلين، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه، ومن سار على سيره، بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فقد نادى الله تعالى كثيراً في كتابه الكريم، عباده بقوله: ﴿ **يا أيها الذين أمنوا** ﴾. ونداء الله تعالى، كما يقول الصحابي الجليل، عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ ﴿ **إذا قال الله يأيها الذين أمنوا** ﴾ فارعها سمعك. فإنه خير تؤمر به، أو شرٌ تُنهى عنه[1].

وقد تكرر طلب التقوى من رب السماوات والأرض، الذي يعلم السرّ وأخفى، لأن صالح المؤمنين، هو مَنْ وقى دينه بدنياه، وهي السبيل الصحيح، والملاذ لمن أراد فلاحاً.

فالتقوى بمحتواها العام، تعني القيام بالعمل الخالص لله، والخضوع له، بجميع المعايير التي تعنيها تلك الكلمة. وبصورة أخرى، هي إتباع أحسن ما أنزل الله إلينا من شرع. لينتج عنها: دخولَ الجنّة، والبعدَ عن النار، فالتقوى أمر بالطاعة، ونهي عن المعصية.

وهي فعلُ الفرائض وترك المحرمات.

---

(١) تفسير الماوردي المسمى النكت والعيون /٤/٢٦٤ .

وهي تعلّم الحلال والتمسّك به، وتِبْيان الشرِّ والبعد عنه.

وهي عمل الخير والأمر به بمعروف، والنهي عن المنكر بمعروف.

وهي أدبٌ في الدين، وأدب في الدنيا.

فالتقوى إذن: جوهرة نفيسة، يتفضل الله بها على عباده، بنور الإيمان، والتمسك بالإسلام، ومحبة الرحمن، وإتباع سيد الأنام محمد عليه الصلاة والسلام.

وسلامة القلب من الشرك والأدران، وبهذا يزداد الإيمان؛.

وبناء على ذلك يمكننا القول: أنه لا يليق بالمؤمن إلّا أن يكون تقياً. لأن التقوىٰ لا تليق إلّا بالمؤمن.

والعلّامة تاج الدِّين الفاكهاني ـ رحمه الله تعالى ـ قد أجاد وأبان هذا المفهوم، بطريق التفسير لهذه الآية الكريمة، المذكورة في سورة الطلاق: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

حيث قسّم بحثه إلى أربعة أطراف.

فذكر أولاً: حقيقة التقوى جملة وتفصيلاً.

ثم ذكر ثانياً: تصريف لفظ التقوى، واشتقاقه من الناحية اللغويّة؛.

وبعدها عرّج: على الحث على التقوى، والترغيب فيها، إذ هي المقصودة وبيت القصيد، والثمرة المرجوّة من هذا البحث القيّم.

وختمها: بأقوال أهل التفسير حول مفهوم الآية الكريمة المباركة، التي قال عنها الإمام الغزالي رحمه الله تعالى في كتابه الأحياء، ونقلها عنه الفاكهاني ضمن بحثه حيث يقول:

(فكأنّ خير الدنيا والآخرة، جُمِعَ تحت هذه الخصلة التي هي التقوى، وتأمل

ما في القرآن من ذكرها، فكم عَلِقَ بها من خيرٍ، وكم وُعِدَ عليها من ثواب، وكم أضاف إليها من سعادة).

فثمرة التقوى: المدح والثناء، والحفظ والحراسة من الأعداء، والنصر والتأييد من رب السماء، والنجاة من الشدائد، والبركة والرزق الحلال، والسداد في العمل، وغفران الذنوب، والمحبة والإكرام، والإعزاز والاحترام، والبشارة عند الموت، والنجاة من النار، ودخول الجنة مع الأبرار.

وهذه الثمار، غيض من فيض، مما يجنيه المتقون، معززاً بالأدلة القرآنية، التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾. [النساء: ٨٧].

كل ذلك تجده ضمن هذا البحث الذي نحن بصدده، للمؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ وهو بحث لا يستغني عنه العام والخاص من المؤمنين.

وفي الختام: أسأل الله العلي الكريم، أن يجعل عملنا هذا عملاً مقبولاً خالصاً لوجهه الكريم، ولا يفوتني بالشكر الجزيل، مع خالص الدعاء، لكل من قام ومدّ يد العون والمساعدة لي أثناء عملي، لإخراج هذا البحث الطيِّب، ليرى النور بعد (٦٩٥) سنة من تأليفه وإني لأرجو من أخٍ، استفاد من هذه الرسالة، أن يدعو لمصنفها، وناسخها، ولمن قام بتحقيقها، وسعى على نشرها، والله الموفق لما يحب ويرضى.

الكويت في ١٤١٤/٦/١٥ هـ

١٩٩٣/١١/٢٨ م

وكتبه الفقير إليه تعالى

محمد يحيى بيدق

غفر الله له ولوالديه وللمؤمنين

ترجمة المؤلف

اسمه ونسبه:

هو: تاج الدِّين، أبو حفص، عمر، بن أبي اليُمْن، بن علي، بن سالم، بن صدقة، اللَّخْمِيّ، الشهير بالفاكهاني، الاسكندراني مولداً، المالكي مذهباً.

ولادته:

اتفق المترجمون له: على أنّ ولادته بالاسكندرية، سنة (٦٥٤ هـ) عدا ابن فرحون، ذكر بلفظ وقيل: سنة (٦٥٦ هـ).

مشايخه:

أخذ القرآن، عن أبي عبد الله، محمد بن عبد الله بن عبد العزيز المازوني، وسمع منه، وسمع من ابن المنير، ومن التقي ابن دقيق العيد، ومن البدر ابن جماعة، ومن المكين الأسمر، ومن عتيق العمري، ومن أبي العباس القَرَافي[1]، ومن أبي عبد الله، محمد بن طرخان[2].

كما سمع من القاضي الشافعي بدمشق، علم الدين الأَخْنَائيّ، أثناء سفره للحج عن طريق دمشق.

---

(١) كما في شجرة النور الزكية، وقال صاحب الديباج المذهب: وسمع من أبي الحسن، علي، ابن أحمد القرافي.

(٢) ذكره صاحب الديباج المذهب، وفي الدرر الكامنة، وقال صاحب شجرة النور الزكية: وسمع من أبي عبد الله بن قرطال.

كما صحب الشيخ الصالح، أبو العباس الشاطر، الدمنهوري، والشيخ أبو علي البجائي[1]، رحمهم الله جميعاً.

تلاميذه:

أخذ عنه جماعة، منهم:

جمال الدِّين عبد الله بن محمد بن علي بن أحمد بن حديدة، الأنصاري المحدّث.

وأجاز لعبد الوهّاب الهَّروي.

وسمع منه الحافظ ابن كثير، صاحب البداية والنهاية، وحجَّ معه، سنة (٧٣١ هـ) وذكر ابن كثير، أنه سمع منه جمع بدمشق، وجماعة بطريق السفر إلى الحج.

حجّه سنة ٧٣١ هـ:

ويحدثنا ابن كثير رحمه الله تعالى في البداية والنهاية، ١٤/١٥٣ ـ ١٥٤ بتصرف فيقول: وفي نصف رمضان، عام (٧٣١ هـ)، قدم الشيخ، تاج الدِّين عمر، الفاكهاني، المالكي، ونزل عند القاضي الشافعي، الشيخ علم الدين الأخنائي، وسمع عليه شيئاً من مصنّفاته، وخرج إلى الحج، عامئذ مع الشاميين، وزار القدس، قبل وصوله إلى دمشق.

وخرج الركب الشامي، يوم الإثنين، ثامن شوال، وأميره، عزّ الدِّين أيبك، أمير علمٍ، وقاضيه شهاب الدِّين الظاهري، وممن حج فيه، شهاب الدِّين بن جهبل، وأبو النسر، وابن جملة، والفخر المصري، والصدر

---

(١) ذكره المؤلف تاج الدِّين الفاكهاني في مخطوطة كتابه «مختصر المنهج المبين في شرح الأربعين» أثناء شرحه، لحديث أبي عبدالله النُّعمان بن بشير رضي الله عنه الحلال بيّن.
بلفظ: وهو مختار شيخنا، قدس الله روحه.

المالكي، وشرف الدِّين الكفوي الحنفي، والبهاء الدِّين البعلبكي، ومجد الدين ابن أبي المجد، وشمس الدِّين بن القيّم الجوزيّة، وشمس الدِّين بن الخطيب بيره، وشرف الدين قاسم العجلوني، والشيخ عمر السلاوي، وكاتبه، إسماعيل بن كثير، وآخرون من سائر المذاهب حتى كان الشيخ، بدر الدين، يقول: اجتمع في ركبنا هذا، أربعمائة فقيه، وأربع مدارس، وخانقاه، ودار حديث، وقد كان معنا؛ من المفتين، ثلاث عشر نفساً، وكان في المصريين، جماعة من الفقهاء، منهم قاضي المالكية، تقي الدين الأخنائي، وفخر الدِّين، النويري، وشمس الدِّين بن الحارثي، ومجد الدِّين، الأقصرائي، وشيخ الشيوخ، الشيخ محمد المرشدي، وفي ركب العراق، الشيخ أحمد السروجي أشد، وكان من المشاهير.

وفي الشاميين، الشيخ علي الواسطي، صحبة ابن المرجاني، وأمير المصريين، مغلطاي الجمّالي، الذي كان وزيراً في وقتٍ، وكان إذ ذاك مريضاً ومررنا؛ بعين تبوك، وقد أُصلِحتْ في هذه السنة، وصِيْنَت، من دَوْسِ الجمال والجمّالين، وصار ماؤها في غاية الحُسن، والصفاء والطيب، وكانت وقفةُ الجمعة، ومُطِرْنا بالطواف، وكانت سنة مرخّصة آمنة.

رزقنا الله حجاً مبروراً، وصحبة، طيّبة، كهذه التي ذكرنا، يا رب العالمين، آمين.

ثناء العلماء عليه:

وقبل الخوض في ذلك، لا بدّ من: شاهدِ، عدلٍ، ثبتٍ، ثقة، تقي، صالح، ملتزم؛ تتوفر فيه، شروط الشهادة الإسلامية.

هل جالسته عن قُربٍ؟.

هل عاملته بالدرهم والدينار؟.

هل سافرت معه؟.

في كل ذلك يوافقني القارىء الكريم؛ لذا كان لزاماً عليّ أن أبدأ، بمن يتصف، بتلك الصفات إنه ابن كثير، صاحب البداية والنهاية، فهو غني عن الثناء والتعريف؛ رحمه الله تعالى (ت ٧٧٤ هـ)، سمع منه، وبهذا السماع، محادثة ومجالسة، وبحث، وتمحيص، وخبرة، وبعدها، تتولد القناعة، فيجري نتاجها على اللسان، ويسجله القلم كذكرى، وهل الإنسان إلا ذكرى؟ إذ لا يعرف الفضل إلا ذووه...

يقول ابن كثير رحمه الله تعالى في البداية والنهاية ١٦٨/١٤ تحت عنوان: **الشيخ الإمام ذو الفنون** :

تاج الدِّين أبو حفص... المعروف، بابن الفاكهاني، سمع الحديث، واشتغل بالفقه، على مذهب مالك، وبرع وتقدم بمعرفة النحو وغيره.

وله مصنفات في أشياء متفرقة، قدم دمشق سنة (٧٣١ هـ) في أيام قاضي الشافعية علم الدِّين الأخنائي، فأنزله في دار السعادة، وسمعنا عليه، وسمعنا معه، وحججنا عامئذ معاً، وسُمِع عليه في الطريق.

أما ابن فرحون (ت سنة ٧٩٩ هـ) فقد ذكر في كتابه الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذاهب (١٨٦ ـ ١٨٧) بتصرف، وهو مقارب لحياة المؤلف، رحمه الله تعالى، واجتمع مع بعض تلامذته منهم، الشيخ المحدث، جمال الدِّين بن حديدة، الأنصاري، لذلك نراه قد أسهب في ترجمة الشيخ، الفاكهاني، نقتطف منها بعض الزهرات، حيث يقول:

قرأ القرآن، بالقراآت، وكان؛ فقيهاً، فاضلاً متفنناً، في الحديث، والفقه، والأصول، والعربيّة، والأدب، وكان على حظٍّ، وافرٍ، من الدين المتين، والصلاح العظيم، وإتباع السلف، الصالح، وحسن الأخلاق، صحب جماعة من الأولياء، وتخلّق بأخلاقهم؛ وتأدب بآدابهم، وحجّ غير مرة،

وحدّث ببعض مصنفاته، وله شعر حسن، ومعرفة بالأدب؛.

ومن شعره، وذُكِرَ أنه، اهتدمه[1]، ونقله من الهجاء إلى المدح قوله:

ضمّت مكارم تأتي منك ظاهرة إلى مكارم أبقاها أبوك لكا
فإنْ تقدم أبناء الكرام بهم فقد تقدم آباء الكرام بكا
كما كان تقياً، خاشعاً، بكّاءً.

وقال عنه: صاحب شجرة النور الزكية:

فقيه، فاضل، عالم، متفنن في الحديث، والفقه، والأصول، والعربيّة مع الدين؛ المتين، والصلاح العظيم.

وقال السيوطي رحمه الله تعالى:

مهر في العربيّة، والفنون، وتفقه لمالك.

وكذا ذكر صاحب شذرات الذهب، وابن حجر في الدرر الكامنة.

وقال عمر كحالة في معجم المؤلفين:

فقيه، مشارك في الحديث والأصول، والعربيّة، والأدب.

رحمه الله تعالى ونفعنا بعلومهم

آمين

---

(١) اهتدمه: أي غيّر بعض بُنيته، ومعناه، مع المحافظة على الوزن والقافية. كقولي:

لحمص أم لحماةَ اليوم تنتسب هنا التُقى وهناك الحُسن والأدبُ
وللشآم بطولات مشرّفة وللكراماتِ دارٌ اسمها حلبُ

مؤلفاته:

وسنرى أنها في عدّة فنون، وكلها غير مطبوعة عدا، الكتاب الذي بين يديك.

١ـ شرح الكتاب: الإشارة في النحو لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت ٦١٦ هـ) كما في شجرة النور الزكية، وكشف الظنون، وهديّة العارفين.

٢ـ شرح رسالة أبي زيد القيرواني في الفقه المالكي، في مجلّدين وسماه التحرير والتحبير. ذكر ذلك صاحب هدية العارفين، والزركلي في الأعلام.

٣ـ التحفة المختارة، في الرد على منكري الزيارة. كذا في شجرة النور الزكية.

٤ـ الدُّرة القمريّة في الآيات النظريّة. ذكره ابن حجر في الدرر الكامنة.

٥ـ شرح عمدة الأحكام للمقدسي في الحديث سماه رياض الأفهام لم يسبق إلى مثله لكثرة فوائده ذكره صاحب هدية العارفين وشجرة النور الزكية.

٦ـ شرح العمدة. لأبي بكر الشاشي في فروع الشافعيّة[1].

٧ـ الغاية القصوى في الكلام على آية التقوى[2] ذكره الزركلي في الأعلام.

٨ـ الفجر المنير في الصلاة على البشير النذير ﷺ. ذكره صاحب شجرة النور الزكية، ومؤلف هدية العارفين.

٩ـ اللُمعةَ في وقفة الجمعة. كما في الدرر الكامنة لابن حجر.

---

(١) هذا الكتاب «العمدة» صنّفه مؤلفه الشاشي(ت ٥٠٧هـ) لعمدة الدين، ولد المستظهر هو المسترشد الخليفة الفضل (ت ٥٢٩ هـ) كما في الكشف وهدية العارفين.

(٢) والجدير بالذكر أن كتابنا هذا، لم يذكره إلاّ الزركلي في الأعلام فقط، وذلك فيما وقع تحت أيدينا من مراجع، ولعلّ ذلك يدلنا على عدم توفّر نسخة أخرى من المخطوط والله أعلم.

١٠- مختصر المنهج المبين في شرح الأربعين. للإمام النووي رحمه الله تعالى. ذكره الزركلي في الأعلام. و«أقوم بتوفيق الله تعالى بتحقيقه حالياً». وأسأل الله الإعانة على اتمامه.

١١- مقدّمة في النحو ثم شرحها. كما في هدية العارفين.

١٢- المورد في المولد. ذكره صاحب شذرات الذهب.

وفاته:

اختلفوا في وفاته، فقد ذكر تلميذه ابن كثير، صاحب البداية والنهاية، وكذا مؤلف هدية العارفين، وصاحب شجرة النور الزكية، والزركلي في الأعلام، والذهبي في معجمه الصغير، وابن فرحون في كتابه الديباج المذهب، ونقل السيوطي في بغيته، عن والد شيخه الشُّمُنِّيّ، أنه توفي في الاسكندرية، ودفن فيها، بمحلة ظاهر باب البحر، سنة (٧٣٤ هـ) الموازي لعام (١٣٣٤ م) ليلة الجمعة سابع جمادى الأولى، رحمه الله تعالى.

بَيْدَ أن فريقاً آخر، كمؤلف كشف الظنون، وصاحب شذرات الذهب، وابن حجر، في الدرر الكامنة والسيوطي في بغية الوعاة «ترجيحاً» وكذا صاحب معجم المؤلفين.

أنه توفي في الاسكندرية، ودفن في ظاهر باب البحر سنة (٧٣١ هـ) الموافق لسنة (١٣٣١ م). رحمه الله تعالى.

وخلاصة الأمر اتفاقهم على الولادة، ومحل الدفن، والبلد، واختلفوا في تاريخ الوفاة.

ومن الجدير بالذكر: أن ابن فرحون (ت ٧٩٩ هـ)، ذكر في كتابه، الديباج المذهب (ص١٨٧) أنه لّما حضرته الوفاة، جعل بعض أقارب

الفاكهاني، يتشهد بين يديه، ليُذكّره بالشهادة ففتح عينيه وأنشد:

وغدا يُذكّـرني عهوداً بـالحمى ومتى نسيتُ العهد حتى أُذكّرا

ثمّ تشهّد، وقضى نحبه، وصُلّيَ عليه، صلاة الغائب بدمشق، لمّا وصلهم خبر وفاته رحمه الله تعالى.

مراجع الترجمة:

١ـ مختصر المنهج المبين في شرح الأربعين لنفس المؤلف (ت ٧٣٤ هـ) غير مطبوع. ونقوم بتحقيقه حالياً وسيصدر قريباً إن شاء الله تعالى.

٢ـ المعجم الصغير للإمام الذهبي (ت ٧٤٨).

٣ـ البداية والنهاية للحافظ ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤) ـ / ١٤/ ١٥٢ـ١٥٣/ ـ طبع دار المعارف بيروت.

٤ـ طبقات المالكية «حاشية» لابن فرحون (ت ٧٩٩).

٥ـ الديباج المذهّب في معرفة أعيان المذهب، لابن فرحون (ت ٧٩٩ هـ) طبعة أولى.

٦ـ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاّني (ت ٨٥٢) ٤ / ٢٠٩ طبع دار المعارف بحيدر آباد.

٧ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للإمام الحافظ السيوطي (ت ٩١١). طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

٨ـ حسن المحاضرة للإمام الحافظ السيوطي (ت ٩١١) ـ /ص/٢٢١ .

٩ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩) طبعة القدسي سنة (١٣٥١ م).

١٠ـ شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمحمد بن مخلوف من المتأخرين كان في عام (١٩٥٠ م) حياً أثناء طبعه.

١١- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. طبع دار المعارف باستنبول سنة (١٩٤١ م).
١٢- هدية العارفين للبغدادي ٧٨٩/١ طبع استنبول (سنة ١٩٥١ م).
١٣- بروكلمان.
١٤- الاعلام لخير الدين الزركلي ٢١٧/٥ طبعة ثانية.
١٥- معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٧٧/٧ طبع دار إحياء التراث العربي بيروت.

اعتراف بالجميل:

لا بدّ من كلمة تذكر، ومن فضل يُعلن، لمن كان سبباً، في ولادة هذا الكنز المدفون، في بطون المكتبات؛ التي تزخر بتراثنا الإسلامي العريق آصالةً، العظيم منبعاً، الثابت أساساً؛ ـ منذ خمسة وتسعون وستمائة سنة ـ ٦٩٥ سنة.

فبعد سيلٍ من عبارات التشجيع، والتذكير بواجب أهل العلم؛ في نشر كتب التراث، وبصدقِ طلبه، وثبات موقفه، وصفاء نيّته، شحذ همّتي، وحملني على القيام بهذا العمل الطيّب وجعلني، أقف هذا الموقف، وأضع نفسي في مصّاف أهل العلم، وإن كنت ممن يرجون من الله العلي القدير، أن أحيا وأموت، خادماً لأهل العلم والعلماء، بل ولمن يُحبّهم ويكرمهم[1]. حيث تفضّل مشكوراً، بإهدائي وإيثاري على نفسه، لهذه النسخة، وهذا الكتاب وهو: «مختصر المنهج المبين في شرح الأربعين من أحاديث سيد المرسلين». وفي آخره؛ بحث «الغاية القصوى في شرح آية التقوى» الذي

---

(١) وإكرام العلماء: إنما يكون بالإحترام والتقدير والإنصات إذا تكلّم وهذا هو حق العالم.

بين يديك، وهو باكورة عملي[1]؛ وهنا: لا يسعني إلّا أن استجيب لحديث رسول الله ﷺ وطلبه حيث يقول: «من أسدى إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تستطيعوا فادعوا له»[2].

فجزاك الله عني وعن كل من يستفيد من هذا السفر المبارك خير الجزاء.

أيها الأخ في الله تعالى، فضيلة الاستاذ الشيخ: محمد بن ناصر العجمي جعلك الله سنداً للإسلام ومناراً للمسلمين.

كما لا يفوتني تقديم خالص التقدير والاحترام، والدعاء والرحمة، لمن ربّاني ولمن علمني وهذبني وأرشدني من المشايخ والعلماء الأفاضل الأجلاء، فجزاهم الله عني خير الجزاء أحياء وأمواتاً، إنه سميع قريب مجيب يا رب العالمين. آمين.

---

(١) لذا أرجو من القارىء الكريم الدعاء والمعذرة، فإن كان صواباً فبفضل الله تعالى علينا وإن كان خطأً فمن نفسي المقصّرة وغفلتي وأستغفر الله على ذلك وهدانا للتقوى.

(٢) رواه أبو داوود والنسائي بإسناد صحيح بلفظ «من صنع».
انظر الكشف ٢/٢٥٥ والإمام العراقي في حاشية الأحياء ١/٢٢٣.

وصف المخطوطة

بعد الحصول على نسخة من كتابنا هذا، من مكتبة الحرم المكي الشريف تحت رقم (٧٥). إيثاراً لنا من الاستاذ محمد بن ناصر العجمي حفظه الله تعالى.

أردنا البحث، عن نسخ أخرى، نستعين بها في تحقيقنا، فأخبرنا جزاه الله خيراً، بأنه قام بهذه المهمة، ولم يجد سواها، بعد بحثه، فاكتفيت بكلامه، لخبرته بهذا الموضوع. ونسختنا هذه «الغاية القصوى في الكلام على آية التقوى» لم تكن الأم، بل هي ملحق بكتاب لنفس المؤلف رحمه الله تعالى، واسمه: «مختصر المنهج المبين في شرح الأربعين من آحاديث سيد المرسلين»ﷺ. للإمام النووي رحمه الله تعالى[1].

وتقع في اثنتي عشرة صفحة، ويتراوح عدد الأسطر فيها ما بين (١٨ إلى ٢٢ سطراً).

وخطها نسخي، معتاد، إلّا أن فيها بعض الأغلاط والكلمات غير المقروءة، اليسيرة.

---

(١) لهذا وهم الأخ الأستاذ فراج عطا، المفهرس بمكتبة الحرم الملكي الشريف، فجعل الكتابين تحت رقم واحد [٧٥] وذكر مقدمة كتاب /«مختصر المنهج المبين في شرح الأربعين من أحاديث سيد المرسلينﷺ»/ في الأول ثم ذكر خاتمة الكتاب الثاني هو «الغاية القصوى في الكلام على آية التقوى». جزاه الله خيراً وجلّ من لا يَهم وتقدس من لا يخطىء. وهي الطريقة المتبعة لديهم في فهرست المخطوطات بذكر أول وآخر الكتاب. وهذا للعلم.

وناسخها: عبد الرحمن بن علي الأرتيري، المالكي الأزهري.

وسنة نسخها: الجمعة في رابع جمادى الأولى من شهور سنة (٩٧٨ هـ) بالجامع الأزهر.

وكانت سنة تأليفها في يوم الخميس الرابع عشر من جمادى الآخرة لعام (٧١٩ هـ) والفراغ من تأليفها في يوم الخميس الحادي والعشرين من جمادى الآخرة (٧١٩ هـ) أي ثمانية أيام، استغرق جمعها وتأليفها من المؤلف رحمه الله تعالى.

وما بين تأليفها ونسختنا هذه (٢٥٩) سنة.

كما أنه كتب في آخر المخطوطة: مع المقابلة بحسب الطاقة بأصله؛ ولعله من الناسخ أو من غيره وذلك لتغاير في الخط، والله أعلم.

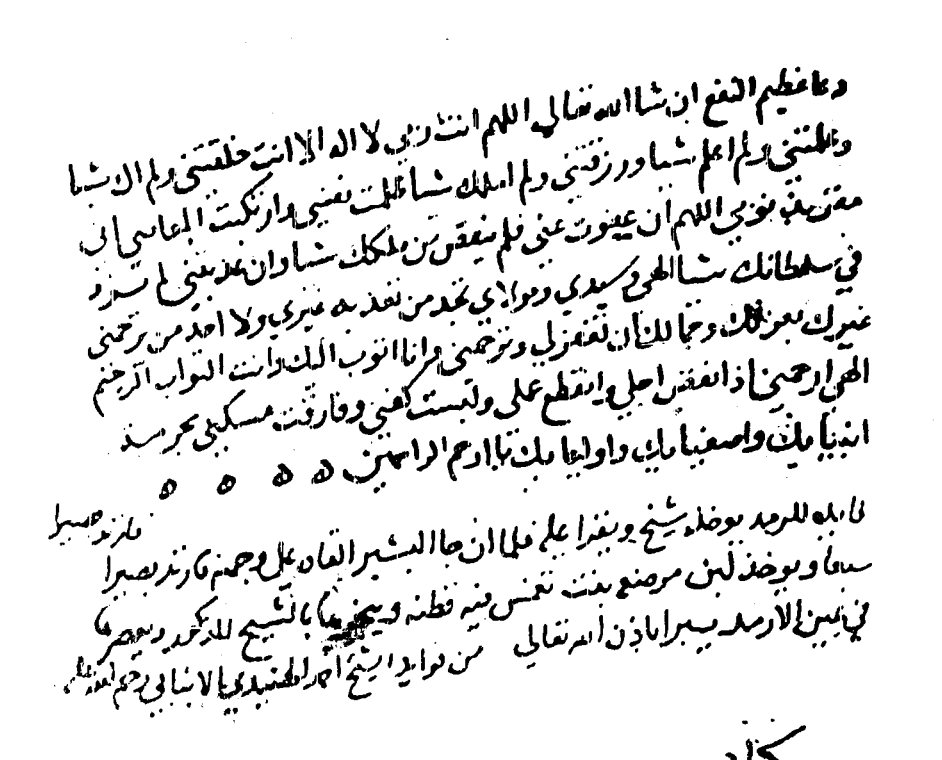

الصفحة الأولى لكتابنا ويظهر فيها اسم الكتاب واسم المؤلف رحمه الله

الصفحة الثانية لكتابنا ويظهر فيها مقدمة المؤلف

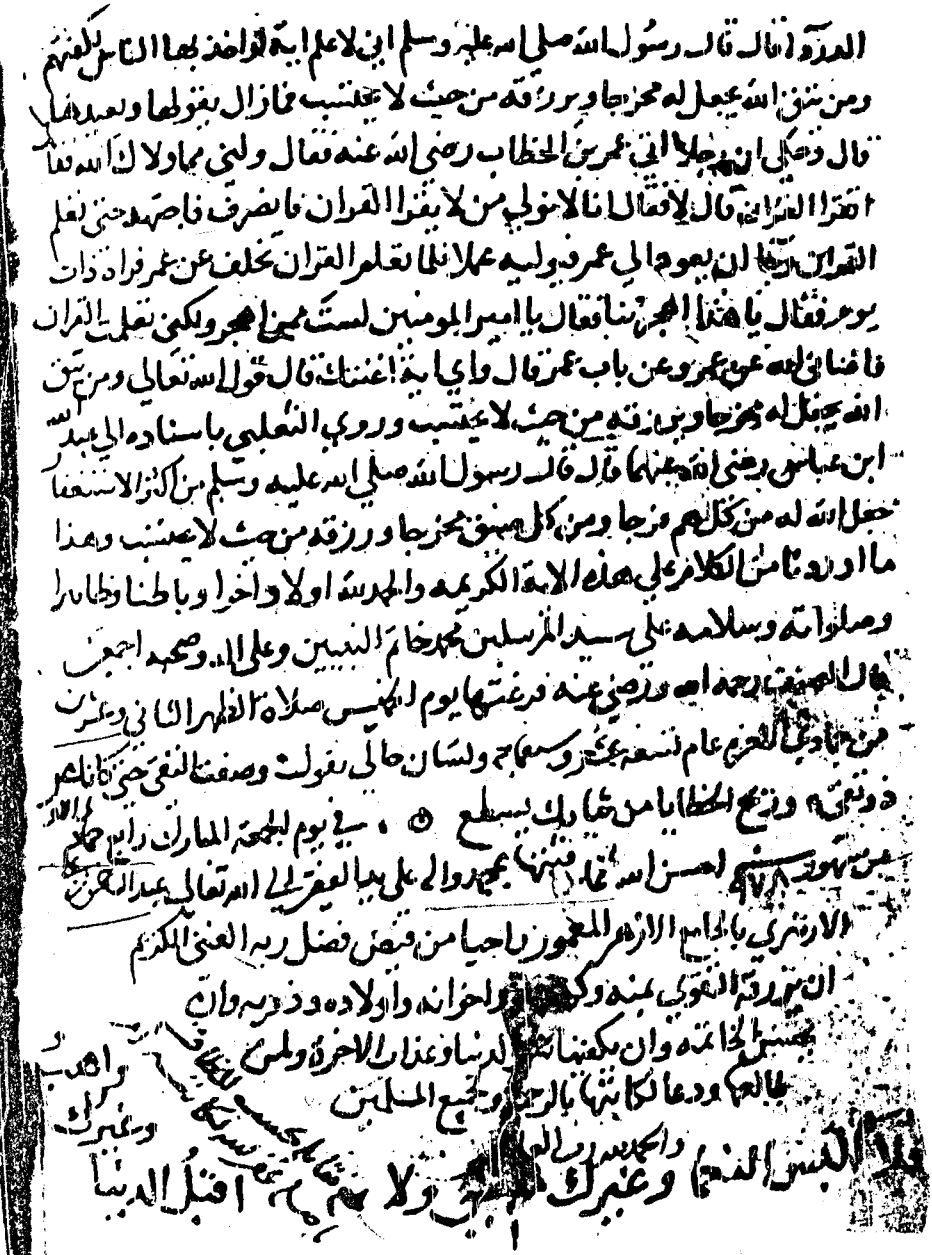

الصفحة الأخيرة لكتابنا ويظهر فيها ختام كلام المؤلف وتاريخ النسخ واسم الناسخ وهو نفس ناسخ كتاب مختصر شرح الأربعين لنفس المؤلف ونقوم بتحقيقه ونرجو من الله الإتمام

عملي في التحقيق:

١ـ قمت بضبط نصّ الكتاب بحمد الله، وتصحيحه، لوجود بعض الأخطاء اليسيرة فيه، وبعض الكلمات غير المقروءة، ووضعتها بين مربعين [ ] وأشرت إليها.

٢ـ رقّمت الآيات القرآنية وذكرت مواضعها في القرآن الكريم، وجعلتها بين هلالين ﴿ ﴾.

٣ـ خرّجت الأحاديث النّبويّة الشريفة من مصادرها، وذكرت درجتها من حيث الصحة أو الضعف، حسب القواعد المتفق عليها عند أهل هذا الفن، مستنيراً بأقاويل جهابذة الحديث ونُقّاده، فهم الملاذ بهذا الفنّ، والمرجع لهذا الباب.

٤ـ عزوت: بعض الآثار والأقوال، إلى مصادرها المستقاة منها، مع ذكر تراجم من توفّر لنا الوقوف على ترجمته ممن لم يكن مشهوراً للفائدة.

٥ـ رددت: أغلب النصوص، المنقولة من آراء العلماء إلى مصادرها مع ذكر اسم المصدر والصفحة، تيسيراً للقارىء الكريم، إن أحب المزيد من الإطلاع.

٦ـ علّقت: بما رأيت من الضروري التعليق عليه، ولم أتوسع خشية الإطالة. وللإستفادة من نص الكتاب.

٧ـ ترجمت للمؤلف ترجمة مستفيضة، بقدر ما توفّر لدي من المراجع المختصة في هذا الباب وذكرت مراجع الترجمة، ضمن قائمة خاصة مع الترجمة.

٨ـ أشرت في أخر الكتاب إلى المراجع التي رجعت إليها أثناء التحقيق إتماماً للفائدة.

٩ـ أشرت في الختام لرؤوس المواضيع والعناوين كفهرست. دون التفصيل فيه والله الموفق.

المقدمة

[قال سيدنا وشيخنا ومولانا: الشيخ الإمام، العامل، الورع، الزاهد، المحقق، العارف، تاج الدين، أبو حفص، عمر، بن علي، اللخمي، عفا الله عنه، ونفع ببركته][1]؛ أخبرني الشيخ الفقيه الصالح المبارك: أبو عبد الله، محمد، بن الشيخ الصالح أبي إسحاق، إبراهيم، التونسي المعروف بحفيد «العزعاز» رضي الله عنه ورحمه قال: سمعتُ غيرَ مرّةٍ تارة في النوم، وتارة في اليقظة، من يقرأ قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

ولا أرى شخصه، ثم بعد ذلك، رأيت النبيﷺ، في الجامع الغربي بثغر الاسكندرية[2]، في المسجد الذي داخله المعروف بعمرو بن العاص رضي الله عنه. وهو يقول: قل لأحمد؛ يعني الشيخ الفقيه، الصالح، أبا العباس البجائي الشهير بالبراذعي. ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾. [الطلاق: ٢-٣].

---

(١) هذا الكلام الموجود بين مربعين من ناسخ الكتاب وليس من المؤلف وكثيراً ما كان النساخ يوردون مثل هذه الألفاظ أول المصنفات التي نسخوها.

(٢) أي المسجد الواقع داخل ثغر الاسكندرية قال المقريزي في خططه ١/١٦٧: قال ابن عبد الحكم: فأما الاسكندرية فلم يكن بها خطط وإنما كانت أخائذ، من أخذ منزلاً نزل فيه هو وبنو أبيه وأن عمرو بن العاص لمّا فتح الاسكندرية أقبل هو وعبادة بن الصامت حتى علو الكوم الذي فيه مسجد عمرو بن العاص فقال معاوية ابن خديج: ننزل، فنزل عمرو القصر ونزل أبو ذر منزلاً كان غربي المصلى الذي عند مسجد عمرو مما يلي البحر.

قال: فقلتُ شفيتني[1] يا رسول الله ﷺ فإني كنت اسمع ذلك ولا أرى القائل، فقال: رسول الله ﷺ ذلك لسان الحق[2]، ثم بعد ذلك رأيته ﷺ. وهو يقول: قل لأحمد: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾. [الطلاق: ٢-٣]. ثم بعد ذلك سمعت من يتلو الآية في مسجد عمرو بن العاص - رضي الله عنه - المذكور ولا أرى شخصه، ثم رأيت في الجامع المذكور، رأس خيلٍ، فقلت كيف تكون الخيل في بيت الله تعالى. فقال ذلك القارىء: الذي لم أرَ شخصه، ذاك جآءٍ لكم، ثم بعد ذلك رأيت رسول الله ﷺ. وهو يقرأ الآية الكريمة، وكان ذلك في ليلة الخميس رابع عشر جمادى الأخرة، عام تسعة عشر وسبعمائة[3]، ثم قال ﷺ: وأين أحمد؟ فقلت: ما زال يا رسول الله ﷺ منتظراً رحمة الله تعالى؛ ثم سألته عَمّن كنت أسمع صوته ولا أرى شخصه، فقال ﷺ: ذلك لسان الحق، ثم قال: وأين الشيخ أحمد؟ وإذا بالشيخ أبي العباس المذكور، داخلٌ من الباب

---

(١) أي أرحتني الآن لمعرفتي المتكلم.

(٢) وذلك إشارة لحديث «من رآني في المنام، فكأنما رآني في اليقظة، فإن الشيطان لا يستطيع أن يتمثّل بي». أخرجه ابن ماجه (٤/٣٩٠) عن صدقة بن أبي عمران، وابن حبان (١٨٠١) عن زيد بن أبي أُنَيْسة، كلاهما عن عون بن أبي جُحيفة، عن أبيه عن رسول الله ﷺ قال: فذكره قال الألباني في الصحيحة وهذا صحيح الإسناد، كما أورد صاحب «مختصر المشكاة» رقم (١١٨) عن أبي هريرة مرفوعاً به دون قوله «إن الشيطان». وقال: «رواه ابن حبان» وليس هو عنده من حديث أبي هريرة، وإنما من حديث أبي جحيفة، مع الزيادة المذكورة.

وللحديث شاهد من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً به.

أخرجه الطبراني في «الكبير» بإسناد رجاله ثقات كما قال الهيثمي (٧/١٨١).

انظر الصحيحة للألباني رقم الحديث /١٠٠٤/. طبع مكتبة المعارف الرياض.

(٣) هو نفس تاريخ بدأ كتابة البحث الذي استغرق مع مؤلفنا ثمانية أيام حسب التواريخ المذكورة في ختام البحث.

الشرقي، عليه ثياب بيضٌ، فجاء فسلّم على رسول الله ﷺ وهو يبكي، فجعل ﷺ يده الكريمة، على يده وقال له: اقرأ ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣] ثم قال له: اركب. فقال أركب في الجامع يا رسول الله! فقال عليه الصلاة والسلام: اركب واقرأ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣]. وسر لعمر بن الفاكهاني يفسرها لك، ثم انتبهت.

قلت: ثم جاء الرآئي[1] والمرئي[2] له المذكوران، فأخبراني بهذه المرآئي المباركة، فقمت من فوري وصليت ركعتين، وحمدت الله عزّ وجلّ، وشكرته على ذلك، مع علمي أني لو شكرت الله عزّ وجلّ، ألف ألف عامٍ، لم أؤدِ بعض شكر هذه النعمة الجسيمة، ثم ذكرت لهما تفسير هذه الآية ما حضرني في ذلك الوقت، ثم خطر لي بعد ذلك، أن أتكلم على هذه الآية الكريمة على طريق، التّبرك، والتّيمُنِ، إذ وقعت الإشارة منه ﷺ بذلك. فلما تكلّمتُ عليها [وأكملتها[3]] بحمد الله تعالى، وسمعها مني جماعة من الطلبة وغيرهم.

رأى الرآئي المذكور، رسول الله ﷺ بحرم مكة الشريف، ومعه الشيخان[4] رضي الله عنهما، وقد طلبني فحضرت بين يديه ﷺ فلمّا رآني،

---

(١) الرآئي لهذه الرؤيا هو: الشيخ الفقيه الصالح المبارك أبو عبد الله محمد بن الشيخ الصالح أبي اسحاق إبراهيم التونسي المعروف «بحفيد» العزعاز.

(٢) المرئي له هو: الشيخ أحمد أبو العباس البجائي الشهير بالبراذعي. الفقيه الصالح.

(٣) في الأصل: وكملتها.

(٤) المراد بالشيخين، أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

تبسّم وظهر منه نور زائد على النور[1] الذي كان عليه ﷺ ثم ضمّني إلى صدره الكريم، وقال ﷺ: قد سررتُ بك وبحديثك، في تفسير تلك الآية، يعني قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ . . . ﴾. . الآية.

فالحمد لله على ذلك حمداً كثيراً[2].

فقلت الكلام على قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾. [الطلاق: ٢-٣]. يتعلق بأربعة أطرافٍ.

مجمل الكلام على الآية

الأول: حقيقة التقوى جملة وتفصيلاً.

الثاني: في تصريف لفظ التقوى واشتقاقه.

الثالث: في الحث على التقوى والترغيب فيها.

الرابع: فيما نقله أهل التفسير في الآية الكريمة.

---

(١) حيث أن لكل شخص تقاسيم يعرف بها، ورسول الله ﷺ، كان دائم التبسّم دائم الاستبشار وزيادة النور هنا بمعنى: زيادة السرور منه ﷺ. والله أعلم.

(٢) أخي القارىء الكريم: المتتبع لأسلوب وكتابة بعض العلماء الأجلّاء الأقدمين، ومنهم مؤلفنا، يجد أن كتاباتهم كثيراً ما يخالطها نوع من الاستئناس بمثل هذه الرؤى، فتكون لهم حافزاً على الإبداع فيما هم فيه، غير أن ذلك لا ينبني عليه حكم، ولا يؤخذ منه قول بما يخص الرؤيا ـ سوى الأنبياء والرسل في رؤياهم ـ وعلى كلٍ: ما يهمّنا هو أن البحث الذي قدّمه لنا مؤلفنا في غاية الدقة وروعة الفهم لهذه الآية الكريمة: ﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب** ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

الطرف الأول:

في حقيقة التقوى جملة وتفصيلاً.

أما جملة: فهي عبارة عن امتثال المأمورات واجتناب المنهيات.

قال الغزالي[1] رحمه الله تعالى: التقوى في قول شيوخنا: تبرئة القلب، عن ذنبٍ لم يسبق عنك مثله، حتى يحصل للعبد من قوّةِ العزم على تركه، وقاية بينه وبين المعاصي.

وأما تفصيلاً: فاعلم أن التقوى في القرآن الكريم تنطلق على ثلاثة أشياء.

إحداها: بمعنى الخشية والهيبة، قال تعالى: ﴿ وَإِيَّىَ فَٱتَّقُونِ ﴾. [البقرة: ٤١].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ﴾. [البقرة: ٢٨١].

والثاني: بمعنى الطاعة والعبادة:

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾. [آل عمران: ١٠٢].

---

(١) هو الإمام الجليل حجة الاسلام: محمد بن محمد بن أحمد أبو حامد الطوسي الغزالي، وكان والده رجلاً صالحاً مجالساً للعلماء، ويعمل غزّالاً للصوف، ولا يأكل إلّا من كسب يده؛ لذا نسب الإمام لعمل والده. ولد بطوس سنة ٤٥٠ هـ وتوفي بها يوم الاثنين رابع عشر جمادى الآخرة سنة ٥٠٥ هـ.

قال ابن عباس[1] رضي الله عنه: أطيعوا الله حق طاعته.

قال مجاهد: هو أن يطاع فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر[2].

الثالث: بمعنى تبرئة القلب عن الذنوب، وهذه هي الحقيقة في التقوى كما تقدم دون الأوليين؛ ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ

---

(١) وذكر القرطبي في تفسيره ١٨/١٤٤ أثناء شرحه لهذه الآية [آل عمران: ١٠٢]. ﴿ **يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته** ﴾. قال ابن عباس: إنها لم تنسخ، ولكن حق تقاته: أن يجاهد لله حق جهاده، ولا يأخذهم في الله لومة لائمٍ، ويقوموا لله بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم.

(٢) قال الماوردي في تفسيره النكت والعيون ٤/٢٤٨ في تفسير قوله تعالى: ﴿ **فاتقوا الله ما استطعتم** ﴾. [التغابن: ١٦]. معنى ما استطعتم: أن يطاع فلا يعصى. نقله عن مجاهد دون تكملة العبارة. غير أن الماوردي ذكر عبارة الفاكهاني المنقولة عن مجاهد ونسبها إلى ابن مسعود والحسن وقتادة فقط.

قال الماوردي في ١/٣٣٧ في تفسير قوله تعالى: ﴿ **اتقوا الله حق تقاته** ﴾. [آل عمران: ١٠٢].

فيه أربعة أقاويل: الأول: «أن يطاع فلا يعصى، ويشكر فلا يكفر، ويذكر فلا ينسى».

ويلاحظ تقديم وتأخير بين العبارتين، دون النسبة لمجاهد رحمه الله قلت: وهذا القول موافق/مرفوعاً عن عبد الله لرواية الحاكم في المستدرك وقال: صحيح على شرط الشيخين غير أن ابن كثير قال: والأظهر أنه موقوف.

والقرطبي رحمه الله ذكر في ٤/١٥٧ آية [آل عمران: ١٠٢] ﴿ **اتقوا الله حق تقاته** ﴾.

قال: روى البخاري عن مُرّة عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: حق تقاته أن يطاع فلا يعصى وأن يذكر فلا ينسى وأن يشكر فلا يكفر.

وبهذه الرواية يكون الفاكهاني قد وافق نقله عن مجاهد رواية البخاري رحمه الله تعالى.

وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ . [النور: ٥٢]. ذكر الطاعة والخشية ثم ذكر التقوى فعلمت بهذا، أن حقيقة التقوى معنى غير الطاعة والخشية وهي: تبرئة القلب عما ذكرنا.

وقال الشيوخ رحمهم الله تعالى:

منازل التقوى ثلاث :

تقوى عن الشرك، وتقوى عن البدعة، وتقوى عن المعاصي الفرعيّة، وقد ذكرها سبحانه، في آية واحدة وهي قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة: ٩٣].

التقوى الأولى: تقوى الشرك والإيمان، في مقابلة التوحيد.

والتقوى الثانية: عن البدعة والإيمان المذكور معها إقرار السنة والجماعة.

والتقوى الثالثة: عن المعاصي الفرعية، والاقرار في هذه المنزلة، قابلها بالاحسان وهو الطاعة والاستقامة عليها.

فقد رأيتَ اشتمالَ الآيةِ الكريمة على المنازل الثلاث؛ أعني منزلة الايمان، ومنزلة السنة، ومنزلة استقامة الطاعة؛ فهذا ما قاله العلماء في بيان معنى التقوى.

قال الغزالي رحمه الله: ووجدت التقوى، بمعنى اجتناب فضول الحلال، وهو ما في الخبر المشهور عن النبي ﷺ انه قال: «إنما سمي المتقون متقين لتركهم ما لا بأس به حذراً عن ما به بأس»[1].

---

(١) ذكر الإمام الغزالي رحمه الله تعالى في ١/ ١٩ باب بيان العلم الذي هو فرض كفاية قوله قال ﷺ: «لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة مما به بأس». =

فأحببت أن أجمع بين ما قاله علماؤنا، وبين ما في الخبر عن النبي ﷺ فيكون، حداً جامعاً، ومعنىً بالغاً فأقول:

التقوى: إجتناب ما تخاف منه ضرراً في دينك، ألا ترى! أنه يقال للمريض المحتمى، أنه يتقي، إذا اجتنب كل شيء يضرّه، في بدنه من طعام وشراب وفاكهة وغيرها.

ثمّ الذي يُخاف منه في أمر الدين قسمان: يَخُصُّ الحرام والمعصية، وفضول الحلال. لا سيّما [الثاني][1] لأن الاستعمال لفضول الحلال فيه، يخرج صاحبه إلى الحرام ومحض العصيان، وذلك لشره النفس وطغيانها، وتمرّد الهوى وعصيانه؛.

= وقد خرّجه الإمام العراقي (ت ٨٠٦ هـ) بنفس المرجع في التعليق بقوله: أخرجه الترمذي وحسنه، وابن ماجه، والحاكم وصححه من حديث عطية السعدي. اهـ

هذا وقد ذكره الشيخ ناصر الدين الألباني في كتاب ضعيف سنن ابن ماجه ذكره في باب الورع والتقوى ٣٤٦ ـ ٣٤٧ عن عطية السعدي وكان من أصحاب النبي ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به، حذراً لما به البأس».

«ضعيف» ـ غاية المرام ١٧٨ـ أحاديث البيوع ـ التعليق الرغيب ١٧/٣ «هذا وقد ورد في شرح البخاري المسمى إرشاد الساري للقسطلاني طباعة أوفست دار صادر ص ٨٨/٨٩» قال ابن عمر: «لا يبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يدع ما حاك في الصدر».

وفي رواية ابن عساكر: «لا يبلغ عبدٌ» بالتنكير.

وقد روى مسلم معناه من حديث النواس بن سمعان مرفوعاً: البر حسن الخلق والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع الناس عليه». اهـ بتصرف.

وقد روى الترمذي (قيامة ٢٥م) /٢٩٩/٧ المعجم المفهرس: بمعناه: «ولا يكون العبد تقيّاً حتى يحاسب نفسه» وذلك للعلم والله أعلم.

(١) عنى به فضول الحلال لأن الأول هو ما يخصّ الحرام والمعصية، ولفظ [الثاني] لم تكن في الأصل ذكرناها لتستقيم العبارة.

فمن أراد أن يأمنَ الضرر في أمر دينه، اجتنبَ الخطر وامتنع عن فضول الحلال حذراً أن يجرّه إلى محض الحرام. على ما قاله ﷺ.

لتركهم فضول الحلال حذراً عن الوقوع في الحرام؛ فالتقوى البالغة الجامعة: اجتناب كل ما فيه ضرر لأمر الدين وهو المعصيّة والفضول؛ وهذا تفصيلها.

فقد تحصّل لك من ذلك: أن التقوى على قسمين: فرضٌ ونفلٌ.

أقسام التقوى فرض ونفل

فالفرض: ما تقدم من أنها تبرئة القلب عن شرٍ لم يسبق عنك مثله، بقوّة العزم على تركه، حتى يصير ذلك وقاية، بينك وبين كل شرٍّ.

والنفل: ما نُهِيَ عنه نَهْيَ تأديبٍ، وهو: فضول الحلال كالمباحات المأخوذات بالشهوات.

فالأولى، فرضٌ يلزم بتركها عذاب النار، والثانية، تقوى خير وأدب، يلزم بتركها الحبس والحساب والتعيير واللوم، فمن أتى بالأولى فهو في الدرجة الأدنى من التقوى، وهي منزلة مستقيمي الطاعة. ومن أتى بالأخرى: فهو في الدرجة العليا من التقوى، وذلك منزلة مستقيمي المباح؛ وإذا جمع العبد بينهما على اجتناب كل معصيّة وفضول فقد استكمل معنى التقوى وقام بحقها، وجمع كل خير فيها. وهو: الورع الكامل الذي هو ملاك أمر الدين، وذلك منزلة الأدب على باب الله عزّ وجلّ. فهذا معنى التقوى وبيانها في الجملة فافهمه موفقاً.

فإن قلت ففصّل لنا الآن هذا المعنى في النفس واستعماله فيها، فإن الحاجة جاءت من هنالك لتعلم كيف نلجم هذه النفس بهذا المعنى الذي فصّلت من حقيقة التقوى.

فأقول: أجل إنما تفصيله في أمر هذه النفس، أن نقوم عليها بقوّة

العزم فنمنعها من كل فضول[1].

---

(١) أي كل شُبهٍ بالضم: وهي ما لم يتبين به حكمها على التعيين. كما أشارتْ إلى هذا المعنى رواية الترمذي بلفظ «لا يدري كثير من الناس أمن الحلال هي أم من الحرام».

قال ابن حجر ١/١٥٤ من فتح الباري ومفهوم كثير من قولهﷺ: أن معرفة حكمها ممكن لكن للقليل من الناس وهم المجتهدون فالشبهات على هذا في حق غيرهم، وقد تقع لهم حيث لا يظهر لهم ترجيح أحد الدليلين. اهـ.

ثم يقول في ص١٥٥: ونقل ابن المنير في مناقب شيخه القباري عنه أنه كان يقول: المكروه عقبة بين العبد والحرام، فمن استكثر من المكروه تطرق إلى الحرام، والمباح عقبة بينه وبين المكروه، فمن استكثر منه تطرق إلى المكروه، وهو منزع حسن.

ويؤيده رواية ابن حبان من طريق ذكر مسلم إسنادها ولم يسق لفظها فيها من الزيادة «اجعلوا بينكم وبين الحرام سترة من الحلال، من فعل ذلك استبرأ لعرضه ودينه، ومن أرتع فيه كان كالمرتع إلى جنب الحمى يوشك أن يقع فيه».

والمعنى: أن الحلال حيث يخشى أن يؤل فعله مطلقاً إلى مكروه أو محرم ينبغي اجتنابه، كالإكثار مثلاً من الطيبات، فإنه يحوج إلى كثرة الاكتساب الموقع في أخذ ما لا يستحق أو يفضي إلى بطر النفس، وأقل ما فيه الاشتغال عن مواقف العبودية، وهذا معلوم بالعادة مشاهد بالعيان.

والذي يظهر لي رجحان الوجه الأول على ما سأذكره، ولا يبعد أن يكون كل من الأوجه مراداً، ويختلف ذلك باختلاف الناس.

فالعالم الفطن لا يخفى عليه تمييز الحكم فلا يقع له ذلك إلّا في الاستكثار من المباح أو المكروه كما تقرر قبل، ودونه تقع له الشبهة في جميع ما ذكر بحسب اختلاف الأحوال، ولا يخفى أن المستكثر من المكروه تصير فيه جرأة على ارتكاب المنهى في الجملة، أو يحمله اعتياده ارتكاب المنهي غير المحرم على ارتكاب المنهي المحرم إذا كان من جنسه، أو يكون ذلك لشبهة فيه وهو أن من تعاطى ما نهى عنه يصير مظلم القلب لفقدان نور الورع فيقع في الحرام ولو لم يختر الوقوع فيه.

وقال ابن دقيق العيد /ت ٧٠٢ هـ/ في كتابه شرح الأربعين للإمام النووي تحقيق الأخ الأستاذ أسامة عبد الكريم الرفاعي ص٧٤ في شرح حديث النعمان بن بشير «وقد اختلف العلماء في المشتبهات التي أشار إليها النبيﷺ في هذا الحديث». =

فإذا فعلت ذلك كنت قد اتقيت الله تعالى في عينك، وأذنك، ولسانك، وقلبك، وبطنك، وفرجك، وجميع أركانك، وألجمتها بلجام التقوى، فمن أراد أن يتقي الله تعالى فليراع هذه الأعضاء الخمسة[1] فإنهنّ الأصول، وهي العين: فلا ترى بها إلّا ما يحلّ. والأذن: فلا تسمع بها إلّا ما يحلّ. واللسان: فلا تتكلم إلّا في واجب أو مندوب، وإذا تساوى السكوت

= فقالت طائفة: هي حرام لقوله استبرأ لدينه وعرضه، قالوا ومن لم يستبرء لدينه وعرضه فقد وقع في الحرام.

وقال آخرون: هي حلال بدليل قولهﷺ في الحديث «كالراعي يرعى حول الحمى» فيدل على أن ذلك حلال وإن تركه ورعاً.

وقالت طائفة أخرى: المشتبهات المذكورة في هذا الحديث لا نقول أنها حلال ولا أنها حرام فإنهﷺ جعلها بين الحلال البيّن والحرام البيّن، فينبغي أن نتوقف عنها وهذا من باب الورع أيضاً». اهـ.

(١) وقد ذكرها الله تعالى في الإسراء ٣٦ فقال تعالى: ﴿ **ولا تقف ماليس لك به علم، إن السمع والبصر والفؤاد كلُّ أولئك كان عنه مسئولا** ﴾.

فالكلام، **والسمع**، والبصر، والقلب؛ هذه الأعضاء المذكورة في الآية مسؤول عن تربيتها، وحفظها، واستعمالها، الإنسان المكلّف، فإن استعملها في الخير استحق الثواب وإن استعملها في الشرِّ وقع عليه العقاب قال تعالى في سورة [فصّلت: ١٨-١٩-٢٠] ﴿ **ونجّينا الذين آمنوا وكانوا يتقون. ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون. حتى إذا ما جاؤوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون** ﴾. روى البزار وابن أبي حاتم ومسلم: ضحك رسول اللهﷺ ذات يوم وتبسّم فقالﷺ: «ألا تسألوني عن أي شيء ضحكتُ؟» قالوا: يا رسول الله، عن أي شيء ضحكتَ؟ قالﷺ: «عجبت من مجادلة العبد ربه يوم القيامة، يقول: أي ربِّ، أليس وعدتني أن لا تظلمني؟ قال: بلى، فيقول: فإني لا أقبلُ عليّ شاهداً إلّا من نفسي، فيقولُ الله تبارك وتعالى: أوليس كفى بي شهيداً وبالملائكة الكرام الكاتبين؟ قال: فيردد هذا الكلامَ مراراً ـ قال ـ فيختم على فيه، وتتكلم أركانه بما كان يعملُ، فيقول: بُعْداً لَكنّ، وسحقاً، عنكنّ كُنْتُ أدافعُ».

والكلام في الإباحة، فالسنة اختيار السكوت؛ لأن الكلام بالمباح قد يؤدي إلى المكروه والمحرّم.

والقلب: والمراعاة فيه بعد اعتقاد التوحيد، والشهادة للرسولﷺ بالرسالة. الصدق، والاخلاص، والتواضع لله تعالى، والحب لله تعالى والبغض فيه.

وفي الحديث: «إنّ في الجسد مُضْغَةً إذا صَلَحَتْ صلح[1] الجسدُ كُلُّهُ وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الجسد كُلُّهُ، ألا وهي القلب». [رواه البخاري ومسلم][2].

قلت: وهو[3] محل نظر الربّ سبحانه وتعالى ومتعلّق التكليف.

وفي الحديث: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم وأنسابكم،

---

(١) أي القلب: ذكر ابن حجر في فتح الباري ١/١٥٦ قوله أثناء شرحه لكلمة «مضغة» من حديث النعمان رضي الله عنه الحلال بيّن وخصّ القلب بذلك لأنه أمير البدن، وبصلاح الأمير تصلح الرعية، وبفساده تفسد. وفيه تنبيه على تعظيم قدر القلب، والحث على صلاحه، والإشارة إلى أن لطيب الكسب أثراً فيه، والمراد المتعلق به من الفهم الذي ركبّه الله فيه، ويستدل به على أن العقل في القلب. ومنه قوله تعالى: ﴿ **فتكون لهم قلوب يعقلون بها** ﴾. [الحج: ٤٦] وقوله تعالى: ﴿ **إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد** ﴾. [ق: ٣٧]. قال المفسرون: أي عقل. وعبّر عنه بالقلب لأنه محل استقراره.

(٢) الحديث متفق عليه ورورياه من طرق بألفاظ متقاربة ففي مسلم تحت رقم /١٥٩٩/ وفي البخاري تحت رقم /٥٢/ و/٢٠٥١/ ورواه أيضاً أبو داود تحت رقم /٣٣٢٩/ و/٣٣٣٠/ والترمذي تحت رقم /١٢٠٥/ والنسائي تحت رقم (٧/٢٤١-٢٤٣) وابن ماجه تحت رقم /٣٩٨٤/ انظر تخريجه في الأربعين النووية أيضاً لمحمود الأرناؤوط. وفي رياض الصالحين للألباني. اهـ بتصرف.

(٣) ويفهم من التعبير بالصلاح والفساد الصحة والسقم ومناسبتها لما قبلها مفهوم من النظر إلى الأصل في الاتقاء والوقوع وهو ما كان بالقلب، لأنه عماد البدن.

ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»[1]. أو كما قال ﷺ.

ونعني بالقلب هنا، المعنى القائم بهذه اللحمة الصنوبرية، لا اللحمة نفسها، إذ هي وغيرها من لحم الجسد سواء، ولكن الله سبحانَهُ خصّها بسرٍّ أودعه فيها. ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ

---

(١) ذكر المؤلف رحمه الله هذه الرواية بزيادة وأنسابكم ولم نرها حسب المراجع المتوفرة لدينا. ثم إنه رحمه الله ذكر في آخر الحديث أو كما قال مما يدل على أن ذكره لهذا الحديث كان من حفظه فيحتمل الزيادة منه غير أنه ذكره دون لفظه وأنسابكم في كتابه مختصر المنهج المبين في شرح الأربعين للإمام النووي رحمه الله تعالى «ونقوم بتحقيقه حالياً في صفحة /٥/ أثناء شرحه لحديث «إنما الأعمال بالنيات» «مخطوط».

هذا وقد ذكره الألباني في تحقيقه لرياض الصالحين صـ٣٥ تحت رقم /٨/ برواية مسلم بلفظ «إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم» ـ عن أبي هريرة عبد الرحمن بن صخر رضي الله عنه ثم يقول: قلت وزاد مسلم وغيره في رواية «أعمالكم» وهو مخرج في تخريج الحلال والحرام (٤١٠) وهذه الزيادة هامة جداً. إلى أن يقول: والحقيقة أنه لا يمكن تصور صلاح القلوب إلّا بصلاح الأعمال ولا صلاح الأعمال إلّا بصلاح القلوب. ثم يقول: وهذه الرواية «وأعمالكم» موافقة للآية الكريمة ﴿ **ولكلٍ درجات مما عملوا** ﴾. [الأنعام: ١٣٢] وقوله تعالى: ﴿ **ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون** ﴾. [النحل: ٣٢].

وفي الحديث القدسي: «... يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله».

والحديث القدسي رواه مسلم تحت رقم /٢٥٧٧/ في البر والصلة. باب تحريم الظلم.

قلت ورواه الإمام أحمد في مسنده /٥/١٦٠/ والترمذي في صفة القيامة رقم /٤٨/ـ/٢٤٩٥/.

اهـ بتصرف من كتابي رياض الصالحين بتحقيق الألباني ومحمود الأرناؤوط لشرح الأربعين النووية صـ٥٥.

وذكره كذلك الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ٢/٤٠٠ تحت رقم ٤١٤٣ دون لفظ أنسابكم.

﴿ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾[1] [الحجرات: ٧].

والبطن: فلا يدخله حرامٌ[2] ولا شبهة[3] إلّا عند الاضطرار على

---

(١) ذكر المؤلف رحمه الله هذه الآية دليلاً لقوله: أن المراد المعنى القائم بالقلب لا نفس القلب الذي هو قطعة من اللحم تشبه غلاف أثمار الصنوبر. وهو ثمر معروف له فوائد جمّة يذكرها مؤلفوا كتب طب الأعشاب.

(٢) قال المؤلف الفاكهاني رحمه الله تعالى في كتابه مختصر المنهج المبين بشرح الأربعين صفحة(٢٤) مخطوط. أثناء شرحه للحديث السادس «الحلال بين..»... وقد قيل: إن صلاح القلب في خمسة أشياء:
قراءة القرآن بالتّدبر، وإخلاص الباطن، وقيام الليل، والتّضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين.

قلت: بل لهذه الخامسة سادس وهو أجلّها وهو أكل الحلال فإن أكل الحلال ينوّره ويصلحه، فتزكو بذلك الجوارح، فتتبدد المفاسد، وتكثر المصالح.

وأكل الحرام والشبهات تصدية، وتظلمة، وتقسيّة.

وأقول: ويشهد لكلام الفاكهاني حديث رسول اللهﷺ الذي رواه مسلم تحت رقم (١٠١٥) والترمذي تحت رقم (٢٩٨٩) والإمام أحمد في المسند (٢/٣٢٨). عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ: «إنّ الله طيّب لا يقبل إلّا طيّباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿**يا أيها الرسل كلوا من الطيّبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم**﴾» [المؤمنون: ٥١]. وقال: ﴿**يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيّبات ما رزقناكم [واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون]**﴾. [البقرة: ١٧٢].

ثمّ ذكر «الرجل يُطيلُ السفر أَشْعَثَ أغْبَرَ يَمُدُّ يديه إلى السماء يا ربِّ، يا ربِّ، ومطعمهُ حرامٌ، ومشربُهُ حرامٌ، وملبسُه حرامٌ، وغُذِيَ بالحرام، فأنى يُسْتَجَابُ لذلِكَ؟».

قال الأستاذ محمود الأرناؤوط في تحقيقه لهذا الحديث من كتاب الأربعين النووية صفحة (٣٤) «والحديث يحثنا على الكسب الحلال، وأن نجتهد ما أمكننا للإبتعاد عن مزالق الحرام الكثيرة المتنوعة، التي أغرت الكثير من الناس في هذه الأيام التي نحياها مع الأسف الشديد...».

(٣) ومن المعلوم، أن أغلب المعاملات في زماننا والله أعلم قد داخلتها الشبهات، والمحرمات =

تفصيل عند العلماء[1].

فإذا صنت هذه الأعضاء الخمسة، عن كل ما تخاف منه ضرراً في أمر الدين من معصية وحرام، وفضول وإسراف من حلال، رجونا أن تكفي

= لذلك لا يسع المؤمن إلّا الاحتراز بقدر ما يستطيع، استجابة لأمر الله تعالى: ﴿ **فاتقوا الله ما استطعتم** ﴾. [التغابن: ١٦] وهكذا كان السابقون الأولون. فقد ذكر الإمام الغزالي في الاحياء [٢/٩٢] قال: وكان بشر الحافي رحمه الله وكان من الورعين؛ فقيل له: من أين تأكل، فقال: من حيث تأكلون، ولكن ليس من يأكل وهو يبكي، كمن يأكل وهو يضحك.

وقال: يد أقصر من يدٍ، ولقمة أصغر من لقمة.

هكذا كانوا يحترزون من الشبهات، أيها الأخ الكريم أبعدنا الله وإياك عن الحرام والشبهات آمين. ﴿ **إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد** ﴾. [ق: ٣٧].

(١) ذكر الله تعالى قاعدة للمضطر بجواز أن يأكل ما حُرّم عليه: فقال: ﴿ **وقد فصّل لكم ما حرّم عليكم إلّا ما اضطررتم إليه** ﴾. [الأنعام: ١١٩].

وقال تعالى: ﴿ **فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم** ﴾. [المائدة: ٣].

وقال تعالى: ﴿ **فمن اضطر غير باغٍ ولا عادٍ فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم** ﴾. [البقرة: ١٧٣].

وقال تعالى: ﴿ **فمن اضطر غير باغٍ ولا عادٍ فإنّ ربك غفور رحيم** ﴾. [الأنعام: ١٤٥].

وقال تعالى: ﴿ **فمن اضطر غير باغٍ ولا عادٍ فإنّ الله غفور رحيم** ﴾. [النحل: ١١٥].

١ـ قال جمهور العلماء: **الاضطرار**: هو أن يصل به الجوع إلى حدّ الهلاك أو إلى مرضٍ يفضي إليه.

وقد حدد بعض المالكية ذلك بالصبر ثلاثة أيام فما فوق.

قال ابن أبي جمرة والتحديد بثلاثة أيام لحكمة وهي: أن في الميتة سُميّة شديدة فلو =

سائر أركانك، وكنت قد قمت بالتقوى الجامعة لجميع بدنك لله عزّ وجلّ، فارعها حقها إن كنت مشمراً في أمر دينك[1].

= أكلها ابتداءً لأهلكته، فشرع له أن يجوع ليصير في بدنه بالجوع سُميّة أشد من سُميّة الميتة فإذا أكل منها حينئذٍ لا يتضرر. وجعل الجمهور: من البغي العاصي بسفره فلا يحل له الأكل إلاّ بعد التوبة، وجوّزه بعضهم مطلقاً.

٢ـ مقدار ما يؤكل: قال قتادة في تفسير قوله تعالى: ﴿ **متجانف لإثم**﴾ بالمتعدي وهو تفسير معنى.

وقال غيره: الإثم أن يأكل فوق سدّ الرمق، وقيل: فوق العادة وهو الراجح لإطلاق الآية.

٣ـ جواز الشبع: وذلك إذا لم يتوقع غير الميتة عن قرب، فإن توقع امتنع إن قوي على الجوع إلاّ أن يجده.

وذكر إمام الحرمين: أن المراد بالشبع؛ ما ينتفي الجوع لا الإمتلاء حتى لا يبقى لطعام آخر مساغ فإن ذلك حرام.

٤ـ المحرمات: كل طعام أو شراب ورد نص بتحريمه من كتاب أو سنّة أو جماع أو قياس. فيحرم أكله أو شربه إلاّ في حالة الضرورة عملاً بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ **ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً** ﴾. [النساء: ٢٩].

واستجابة لقوله تعالى: ﴿ **ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة** ﴾. [البقرة: ١٩٣]. والله أعلم.

انظر فتح الباري ١/ ٥٩١ـ٥٩٢ والفقه المنهجي جـ٣.

(١) وهذا شأن عباد الله المؤمنين المتقين، أن يستبقوا الخيرات، ويحافظوا على حدود الله تعالى، ويجتنبوا الشبهات، بشتى أشكالها وصورها، وخصوصاً، الطعام والشراب والكلام، ذكر الإمام الغزالي رحمه الله في الإحياء [٢/٩١] بتصرف.

يروى أن بين الإمام أحمد بن حنبل ويحيى بن معين صحبة طويلة، فهجره أحمد إذ سمعه يقول: إني لا أسأل أحداً شيئاً، ولو أعطاني الشيطان شيئاً لأكلته، حتى اعتذر يحيى وقال: كنت أمزح، فقال الإمام أحمد: تمزح بالدين؛ أما علمت أن الأكل من الدين، قدّمه الله تعالى على العمل الصالح فقال: ﴿ **يا أيها الرسل كلوا من الطيّبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم** ﴾. [المؤمنون: ٥١].

﴿ **إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب** ﴾. [الزمر: ٢١].

هذا على الجملة، في أمر هذه الأعضاء الخمسة، وإن أردت التفصيل فعليك بكتاب القوت[1] والاحياء للغزالي، وكتب الحارث المحاسبي، وما أشبهها والله المستعان.

(١) لأبي طالب المكي واسم كتابه قوت القلوب وإن كانت العبارة توحي بأن الكتاب إنما هو للإمام الغزالي وليس كذلك.

الطرف الثاني

الطرف الثاني في تصريف لفظ التقوى، واشتقاقه.

فنقول والله الموفق:

أن التقوى[1]: مشتقة من الوِقاية؛ والأصل فيها: وقاية النساء التي تستر فيها المرأة رأسها لتقيها من غبار، وحرٍّ، وبَرْدٍ، ونحو ذلك. بكسر الواو وقد تفتح.

والوِقاء والوقا: ما وقيت به شيئاً، ومن ذلك قولهم: فرس واقٍ إذا كان يهاب [المشي][2] من وجع يجده في حافره.

فأصل تقوى: على هذا وقوي، أُبدلت الواو، كما أبدلت في تراث وتخمه وتكاه. والأصل: وراث، ووخمة، ووكاة.

وكذلك: اتقى يتقي: أصله أوتقى على افتعل، فقلبت الواو ياءً، لانكسار ما قبلها، وأبدلت فيهما التاء وادغمت.

---

(١) وهي اسم مُكبّر وتصغيره: تَقَيّا.
كما في أساس البلاغة: للإمام جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري رحمه الله المتوفي سنة (٥٣٨ هـ) ص٥٠٧.

(٢) في الأصل الشيء وهو خطأ من الناسخ والأصل كما ذكرنا كما في الصحاح للجوهري واللسان لابن منظور وغيره من كتب اللغة.

فلمّا كثر استعماله على لفظ الافتعال توهموا أن التاء من نفس الحرف فجعلوه؛ تَقَى يتقي، بِفتح التاء فيهما.

ثم لم يجدوا له مثالاً في كلامهم يلحقونه به، فقالوا: تَقي يَتْقي، مثل قضى يقضي. ويقول في الأمر: تقِ وللمرأة تقي.

ومن ذلك قوله: «زيارَتَنا نعمان لا تقطعنَّها، تقِ الله فينا والكتاب الذي تتلواه»[1]. نبني الأمر على المخفف، فاستغني عن الألف فيه بحركة الحرف الثاني في المستقبل.

والتقوى، والتقي واحد والتُقاة التقية، يقال اتقي تقية وتقاة[2].

قال تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾. [آل عمران: ٢٨].

والتقي: المتقي، فالمتقي قد جعل بينه وبين المعاصي وقاية تحول بينه وبينها من قوّة عزمه على تركها، وتوطين قلبه على ذلك؛ فلذلك قيل له متقٍ.

رزقنا الله ذلك وأعاننا عليه بمنّه ولطفه آمين[3].

---

(١) هذا البيت لـ: عبد الله بن هُمّا السَّلُولي: والأصل فيه هكذا:

زيادَتَنا نعمانُ لا تَنْسَيَنَّها تَقِ اللَّهَ فينا والكتاب الذي تَتْلُو

كما في لسان العرب لابن منظور ص٩٧٢.

(٢) وهي مصدر اتقى والتُقْيَة والتُقاة بمعنى: إظهار التقوى أي الطاعة والصلح والموافقة في الظاهر وفي الباطن خلاف ذلك تماماً. كما في لسان العرب لابن منظور باب «وقى».

(٣) المتتبع لهذا البحث أي «الطرف الثاني: في تصريف لفظ التقوى». يجد أن الشيخ رحمه الله الفاكهاني قد لخّصه بتصرف من كتابين.

الأول: لسان العرب لابن منظور رحمه الله تعالى في باب «وقى» ٣/٩٧١ ـ ٩٧٣/.

والثاني: كتاب الصحاح للإمام الجوهري رحمه الله تعالى نفس المادة والباب. والله أعلم.

الطرف الثالث

الطرف الثالث في الحث على التقوى والترغيب فيها.

اعلم أن التقوى، كنز عزيز بينٍّ ظفرت به، فكم تجد فيه من جوهر شريف، وخلق نفيس، وخير كثير، ورزقٍ كريمٍ، وغُنْم جسيم، وملك عظيم.

قال الغزالي: فكّأن خير الدنيا والآخرة، جمعت تحت هذه الخصلة؛ التي هي التقوى.

تأمل ما في القرآن من ذكرها، فكم علق بها من خير، وكم وعد عليها من ثواب وكم أضاف إليها من سعادة.

ثمرات التقوى

من ذلك: المدح والثناء: قال الله تعالى: ﴿ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾. [آل عمران: ١٨٦].

ومنها: الحفظ والحراسة من الأعداء: قال الله تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ﴾. [آل عمران: ١٢٠].

ومنها: التأييد والنصرة قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾. [النحل: ١٢٨].

وقال تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾. [البقرة: ١٩٤].

وقال[1]: ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾. [التوبة: ١٢٣].

ومنها: النجاة من الشدائد والرزق من الحلال.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾. [الطلاق: ٢-٣]. على ما سيأتي في تفسير الآية.

ومنها: إصلاح العمل، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾. [الأحزاب: ٧٠-٧١].

ومنها: غفران الذنوب، قال الله تعالى: ﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾. [الأحزاب: ٧١].

ومنها: محبة الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾. [التوبة: آية ٤ وآية ٧].

ولو لم يكن في التقوى إلّا هذه التي هي محبة الله تعالى لكفت عمّا عداها.

ومنها: القبول، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾. [المائدة: ٢٧].

ومنها: الإكرام والإعزاز، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾. [الحجرات: ١٣].

ومنها البشارة عند الموت، قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٦٣ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾. [يونس: ٦٣-٦٤].

ومنها النجاة من النار، قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ﴾. [مريم: ٧٢].

---

(١) في الأصل والله مع المتقين ـ لم أجد آية كذلك لعلها سبق قلم والصواب في الآية ما أثبتناه.

وقال الله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾. [الليل: ١٧].

ومنها الخلود في الجنّة، قال الله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾. [آل عمران: ١٣٣].

مدار العبادة المطلوبة

تنبيه: اعلم أن مدار العبادة، المطلوبة للعبد، على ثلاثة أشياء.

أحدها: التوفيق والتأييد أولاً وهو للمتقين.

كما قال الله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾. [التوبة: ٣٦].

الثاني: إصلاح وإتمام التقصير وهو للمتقين.

قال الله تعالى. ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾. [الأحزاب: ٧١].

الثالث: قبول العمل وهو للمتقين، قال الله تعالى: ﴿. .إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾. [المائدة: ٢٧].

فقد علمت أن مدار العبادة كلها على هذه الأصول الثلاثة، التوفيق أولاً حتى يعمل ثم الاصلاح للتقصير حتى يتمّ، ثم القبول إذا تمّ.

وكلها للمتقين، وهذه الثلاثة يتضرع فيها العابدون إلى الله تعالى ويسألونه فيقولون: ربّنا وفقنا لطاعتك، وأتمم تقصيرنا، وتقبّل منّا.

وقد وعد الله ذلك كله، على التقوى، وأكرم بها المتقي سأل أولم يسأل!.

فعليك أيها الأخ بالتقوى، إن أردت سعادة الأبد في جوار رب العالمين، ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾. [القمر: ٥٥]. ولا غاية بعد ذلك.

ولقد أحسن القائل:

من عرف الله فلم تغنه معرفة الله فذاك الشقي
ما يصنع العبد بعزّ الفنا والعزُّ كلّ العزِّ للمتقي

وكتب على بعض القبور[1]:

أيها النفس فاسمعِ لمقال الهدوء وعِ
ليس زادٌ سوى التقى فخذي منه أو دعِ

ثم تأمل أصلاً واحداً، وهو: هب أنك تعبت جميع عمرك في العبادة، وجاهدت، وكابدت حتى حصل لك ما شئت منها، أليس ذلك كله متوقفاً على القبول؟ وإلّا كان هباءً منثوراً وقد علمت أن الله تعالى يقول: ﴿ . . . إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾، [المائدة: ٢٧].

فرجع الأمر كله إلى التقوى، ولذلك؛ روى عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: «ماأُعجبَ رسولُ اللهﷺ بشيء من الدنيا، ولا أعجبه أحد، إلّا ذو تقى»[2].

وعن قتادة رحمه الله «مكتوب يا ابن آدم، اتقِ الله، ونم حيث شئت» .

وعن عامر بن قيس[3] رحمه الله، أنه بكى عند موته، وكان يصلي كل

---

(١) البيت الأول أيها النفس موجود في الأصل والبيت الثاني ليس زاد كتب على هامش المخطوطة ص١٣٧ بخط مغاير لخط الناسخ. والله أعلم.

(٢) ذكر الحديث في مسند الإمام أحمد رحمه الله تعالى في ٦/٦٩ بسندٍ وهو: «حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا حسن قال ثنا ابن لهيعة ثنا الأسود عن القاسم بن محمد عن عائشة قالت: ما أعجب رسول الله شيء من الدنيا ولا أعجبه أحد قطّ إلّا ذو تقى».

والملاحظ في رواية المسند نقص حرف الباء من كلمة «شيء» وزيادة كلمة «قطّ» عمّا في المخطوط والحديث «ضعيف». لأن عبد الله بن لهيعة وهو صدوق، خلط بعد احتراق كتبه كما في التقريب /٣٥٦٣/ والراوي عنه: حسن بن موسى، ليس من الذين روى عنه قبل الاختلاط. والله أعلم.

(٣) وقع في الأصل عامر بن قيس والذي من الحلية (٦/٢١١) أنه عن كهمس فلعله سبق قلم والله أعلم.

يومٍ وليلةٍ ألف ركعة، ثم يأتي إلى فراشه فيقول: يا مأوى كل [سوء فوالله ما رضيّتك][1] لله طرفة عين.

فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾. [المائدة: ٢٧].

وقد قال: بعض المريدين لشيخه أوصني، فقال: أوصيك بما أوصى الله به الأولين والآخرين. وهو قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾. [النساء: ١٣١].

قال الغزالي رحمه الله تعالى: أليس الله سبحانه أعلم بصلاح العبد من كل أحد؟ ولو كانت في العالم خصلة، هي أصلح للعبد، وأجمع للخير، وأعظم للأجر، وأجلّ في العبودية، وأعظم في القدر، وأولى بالحال، وأنجح في المآل، من هذه الخصلة، التي هي التقوى، لكان الله سبحانه [أمر[1] بها] عباده وأوصى خواصّه بذلك، لكمال حكمته ورحمته، فلمّا أوصى بهذه الخصلة الواحدة، جميع الأولين والآخرين من عباده بذلك، واقتصر عليها، علمنا أنها الغاية التي لا يُتجاوز عنها ولا يُقتصد دونها، وأنه عزّ وجل قد جمع نصح ودلالة وإرشاد وتنبيه وتأديب، وتعليم، وتهذيب، في هذه الوصية الواحدة، كما يليق بحكمته ورحمته.

فعلمنا أن هذه الخصلة التي هي التقوى، هي الجامعة لخيري الدنيا والآخرة، الكافية لجميع المهمات، المبلّغة إلى أعلى الدرجات في العبودية.

وهذا أصل لا مزيد عليه، وفيه كفاية لمن أبصر النور واهتدى، وعمل بذلك فاستغنى.

والله تعالى ولي الهداية والتوفيق.

---

(١) لم تتضح هذه العبارة في الأصل والسياق يقتضيها.

الطرف الرابع

الطرف الرابع فيما نقله أهل التفسير، في الآية الكريمة، أعني قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

قال الثعلبي: قال عكرمة، والشعبي، والضحاك: مَنْ يُطّلق للسُنّة، يجعل له مخرجاً إلى الرجعة، ويرزقه من حيث لا يحتسب، لا يرجو ولا يتوقع[1]؛.

قلتُ: فكأن المعنى، ومن يتق الله فيطّلق للسُنّة، ولم يُضارّ المعتّدة، ولم يخرجها من مسكنها، واحتاط فأشهد؛ يجعل له مخرجاً كما في شأن الأزواج من العموم والوقوع في المضائق، ويفرج عنه، ويرزقه من حيث لا يحتسب، إنْ أوفى المهر وأدى الحقوق والنفقات.

قال الزمخشري: ويجوز أن يكون ذلك استطراداً لما ذكر ذلك يوعظ

---

(١) في تفسير القرطبي ١٨/١٥٩ بما معناه دون النسبة للثعلبي وعكرمة، بل لابن عباس والشعبي والضحاك.

وفي تفسير ابن كثير ٤/٤٠١ بما معناه دون النسبة للثعلبي والشعبي وذكره عن عكرمة وابن عباس والضحاك.

به، فمعنى ومن يتق الله يجعل له مخلصاً من غموم الدنيا والآخرة[1].

سبب نزول الآية

قال الثعلبي[2]: قال أكثر المفسرين: نزلت هذه الآية في: عوف بن مالك الأشجعي. وذلك أن المشركين أسروا ابناً له يسمى سالماً، فأتى النبي ﷺ فقال له: يا رسول الله العدو أسر ابني، وشكى إليه أيضاً الفاقة، فقال رسول الله ﷺ: «ما أمسى عند آل محمد إلّا مُدٌّ، فاتقِ الله واصبر، وأكثر من قول لا حول ولا قوّة إلّا بالله»، ففعل الرجل، فبينا هو في بيته أتاه ابنه، وقد غَفَلَ العدو، فأصاب إبلاً وجاء بها إلى أبيه، وكان فقيراً.

---

(١) ذكر الأمام الزمخشري في تفسيره الكشاف ٤/٥٥٥ قوله: ويجوز أن يجاء بها على سبيل الاستطراد عند ذكر قوله ﴿ذلكم يوعظ به﴾ يعني: ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ومخلصاً من غموم الدنيا والآخرة.

(٢) ما يتعلق بسبب نزول آية التقوى: روايات كثيرة، يمكننا القول: أن بعضها منكر كما ذكر الذهبي، أو مرسل كما اخرجه ابن أبي حاتم أو معضل كما ذكره البيهقي في الدلائل أو ضعيف كما أخرجه الثعلبي؛ والمنكر والمرسل والمعضل من أقسام الحديث الضعيف وإليك التفصيل في روايات العلماء لهذا الحديث:

فقد ذكر فضيلة الأستاذ محمد بن ناصر العجمي في تخريجه لبعض روايات هذا الحديث في كتابه نور الاقتباس لمؤلفه ابن رجب الحنبلي ص٧٣ تعليقاً بعد سوق الرواية: أخرجه ابن أبي الدنيا في الفرج بعد الشدّة (١/١٣٤/ب) ومن طريقه التنوخي في الفرج بعد الشدّة (١/٨٧) والبيهقي في دلائل النّبوة (٦/١٠٧) عن أبي عبيدة معضلاً، والمعضل من أقسام الحديث الضعيف. اهـ

كما ذكر الماوردي في كتابه النكت والعيون ٤/٢٥٣/٢٥٤ طبع وزارة أوقاف الكويت تحقيق خضر محمد خضر تعليقاً: هذا الحديث أخرجه الحاكم وابن مردويه وابن جرير وابن أبي حاتم ببعض اختلاف بينهم.

وذكر ابن كثير في تفسيره ٤/٤٠١ قوله: روي هذا الحديث من طريق السُّدي وابن جرير.

وروي من طريق سالم بن أبي الجعد مرسلاً نحوه. =

قال الكلبي: في رواية يوسف بن بلال: قدم المدينة ومعه خمسون بعيراً.

وروى بإسناده إلى ابن عباس قال: جاء عوف بن مالك الأشجعي إلى النبيﷺ فقال: يا رسول الله! إن ابني أسره العدو، وجزعت الأم، فما تأمرني؟ قال: «آمرك وإياها، أن تستكثر من قول، لا حول ولا قوّة إلّا بالله».

فانصرف إليها، فقالت: ما قال رسول اللهﷺ. قال: أمرني رسول اللهﷺ وإياك، أن نستكثر من قول: لا حول ولا قوّة إلّا بالله العلي العظيم[1].

= وقال محمد بن اسحاق: جاء مالك الأشجعي.. وساق الحديث باختلاف في اللفظ من رواية ابن أبي حاتم.

وذكر ابن حجر العسقلاني في كتابه الشاف بتخريج أحاديث الكشاف أن الحاكم رواه من طريق سالم بن الجعد عن جابر فذكره مختصراً وفيه عبيد بن كثير تركه الأزدي وعباد عن يعقوب وهو رافضي. ذيل الكشاف ص٥٥٦.

غير أن السيوطي رحمه الله كان أكثر العلماء جمعاً لطرق وروايات هذا الحديث فقد ذكر في أسباب نزوله اللباب (ص٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١) من ذيل تفسير الجلالين بتحقيق الأستاذ مروان سوار طبعة أولى بيروت.

قوله: سبب نزول الآية ﴿ومن يتق الله..﴾ نزلت في رجل من أشجع قال الذهبي حديث منكر له شاهد.

وأخرج ابن جرير مثله عن سالم بن أبي الجعد والسدي.

وأخرج الحاكم أيضاً من حديث ابن مسعود وسماه كذلك.

وأخرج ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

وأخرجه الخطيب في تاريخه من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس.

وأخرجه الثعلبي من وجه آخر ضعيف.

وأخرجه ابن أبي حاتم من وجه آخر مرسلاً.

(١) ذكره السيوطي في كتابه اللباب ص٧٨٠، ٧٨١ ذيل تفسير الجلالين.

قالت: نِعْمَ ما أمرك به.

فجعلا يقولان ذلك، فَتَغَفَّلَ العدوّ، فاستاق غنمهم، فجاء بها إلى أبيه وهي أربعة آلاف شاة، فنزلت: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢﴾. يعني في ابنه، ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ ما ساق من الغنيمة.

وقال مقاتل: أصاب غنماً ومتاعاً، فرجع إلى أبيه، فانطلق أبوه إلى النبيﷺ، فأخبره الخبر وسأله، أَيحِلُّ له أن يأكل مما أتاه به ابنه؟.

فقال له النبيﷺ: «نعم».

فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآية.

أقوال السلف الصالح في الآية

وروى الثعلبي أيضاً بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما: قال: قرأ رسول اللهﷺ ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ قال: مخرجاً من مهمات[1] الدنيا ومن غمرات الموت، ومن شدائد يوم القيامة.

وابن كثير ٤/٤٠١، والقرطبي ١٨/١٦٠، والماوردي ٤/٢٥٣/٢٥٤ وابن رجب الحنبلي في نور الاقتباس ص٧٣.

كلهم ذكروا هذا الحديث «قصة عوف بن مالك الأشجعي وقول الرسولﷺ له أن يكثر من قول «لا حول ولا قوّة إلّا بالله» دون لفظ «العلي العظيم» وتابعهم على ذلك الخازن في تفسيره المذكور بهامش النسفي ٤/٢٧٩. غير أن النسفي في تفسيره كرر كلمة «العلي العظيم» في سوقه للرواية ج ٤ ص ٢٧٩ وتابعه الصاوي ٤/١٨٢ وكذلك الجمل في تفسيره ص٣٥٧، ٣٥٨ كلهم عندما ساقوا سبب نزول الآية ﴿ومن يتق الله﴾ ذكروا حديث عوف بن مالك الأشجعي وأمر الرسولﷺ له ولزوجه من الإكثار من قول: لا حول ولا قوّة إلّا بالله العلي العظيم كما أوردها شيخنا الفاكهاني.

وعلى كلٍ: فالحديث لا يخرج من دائرة الضعف لأكثر من علّة كما ذكرنا ذلك أثناء تعليقنا على سبب النزول آنفاً والله أعلم.

(١) ذكر القرطبي ١٨/١٦٠ نفس الرواية مع اختلاف بلفظ شبهات بدل مهمات وكذا ذكرها

وقال ابن مسعود ومسروق: يجعل له مخرجاً وهو أنّه يعلمُ أنه من قِبَلِ الله، وأنّ الله هو رازقه، وهو معطيه وواهبة[1].

وقال الربيع بن خيثم: يجعل له مخرجاً من كل شيء ضَاْقَ على الناس[2].

وقال أبو العالية: مخرجاً من كل شدّة[3].

وقال الحسن: مخرجاً مما نهاه عنه[4].

وقال الحسن بن الفضل: ومن يتق الله في أداء الفرائض، يجعل له مخرجاً من العقوبة، ويرزقه الثواب من حيث لا يحتسب[5].

وقال الصادق: يرزقه من حيث لا يحتسب، يعني يبارك له فيما آتاه.

وقال سهل[6]: ومن يتق الله في إتباع السُنّة، يجعل له مخرجاً من عقوبة

= غيره والله أعلم وفي الأصل ما ذكرنا. «مهمات» والصحيح شبهات.

أخرجه الثعلبي والواحدي من رواية سعيد بن راشد عن عبد الله بن سعيد بن أبي هند عن زيد بن أسلم عن عطاء عن ابن عباس به مرفوعاً ورواه أبو نعيم موقوفاً على قتادة في ترجمته في الحلية. ٥٥٦/٤ ذيل الكشاف لابن حجر العسقلاني وفي الرواية ذكر لفظ «شبهات» وليس مهمات.

(١) ذكر ابن كثير في تفسيره ٤٠١/٤ بقوله: وقال ابن مسعود ومسروق: ﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجاً** ﴾.

يعلم أن الله إن شاء أعطى وإن شاء منع.

وذكر القرطبي ١٦٠/١٨ قوله: وتأول ابن مسعود ومسروق الآية على العموم.

وذكر الماوردي ٢٥٣/٤ أن المخرج علمه بأنه من قبل الله.

(٢) كذا في القرطبي ١٥٩/١٨ وابن كثير ٤٠١/٤ مثله.

(٣) كذا في القرطبي ١٥٩/١٨ .

(٤) كذا في القرطبي ١٥٩/١٨ . والحسن هذا هو الحسن البصري رحمه الله تعالى.

(٥) كذا في القرطبي ١٥٩/١٨ ـ ١٦٠ وتتمة قوله كما في القرطبي «أي يبارك له فيما آتاه»

(٦) سهل هذا كما ذكره القرطبي ١٦٠/١٨ هو سهل بن عبد الله التستري الرجل العالم الزاهد.

أهل البدع، ويرزقه الجنّة من حيث لا يحتسب.

وقال عمرو بن عثمان الصدفي[1]: ومن يَقْفِ عند حدوده، ويجتنب معاصيه، يخرجه من الحرام إلى الحلال، ومن الضيق إلى السعةِ، ومن النارِ إلى الجنّة.

وقال أبو سعيد الخراز[2]: ومن يتبرأ من حوله وقوّته بالرجوع إليه، يجعل له مخرجاً مما كلفه بالمعونة له.

وقال علي بن صالح: ﴿يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢﴾، يقنعه برزقه[3].

وقيل: ومن يتق الله في الرزق وغيره، بقطع العلائق، يجعل له مخرجاً بالكفاية، ويرزقه من حيث لا يحتسب.

وروى الثعلبي[4] بإسناده إلى أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: إني

---

(١) وتتمة قول الصدفي كما في القرطبي ﴿ ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ من حيث لا يرجو.

(٢) ذكر القرطبي وغيره نفس الرواية مع اختلاف في الاسم فقالوا أبو سعيد الخدري وليس الخراز.

(٣) قال الماوردي في تفسير قوله تعالى: ﴿ يجعل له مخرجاً ﴾ أي المخرج هو أن يقنعه الله بما رزقه قاله علي بن صالح وذكر القرطبي مثله في ١٨/١٥٩ .

(٤) في القرطبي ١٨/١٦٠ قال أبو ذر وبدل لفظ يقولها يكررها.

وذكر ابن كثير ٤/٤٠١ برواية الإمام أحمد من طريق أبو السليل عن أبي ذر قال. . . وساق الحديث ببعض اختلاف في اللفظ واتفاق بينهما في اسم الصحابي رضي الله عنه.

وذكر الشيخ الألباني في ضعيف سنن ابن ماجه ص٣٤٧ بعد أن ساق الحديث عن أبي ذر رضي الله عنه: قوله: (ضعيف) ـ /المشكاة ٥٣٠٦/.

وذكر الزمخشري في ٤/٥٥٦ من تفسيره الكشاف رواية قال: وقال عليه السلام: «إني لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم ﴿ ومن يتق الله ﴾، فما زال يقرؤها ويعيدها».
يقول ابن حجر في كتابه الشاف في تخريج أحاديث الكشاف: =

لأعلم آية لو أخذ بها الناس لكفتهم. ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾. فما زال يقولها ويعيدها.

قصة وفهم جميل

قال: وحكي أن رجلاً أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: وَلِّني مما ولاك الله، فقال: أتقرأ القرآن؟ قال: لا فقال: إنّا لا نُوَلّي من لا يقرأ القرآن، فانصرف فاجتهد حتى تعلّم القرآن رجاءً إلى عمر، فيوليه عملاً، فلمّا تعلّم القرآن، تخلّف عن عمر، فرآه ذات يومٍ فقال: ياهذا أهجرتنا؟ فقال: يا أمير المؤمنين لستُ مِمّن أهجرُ، ولكني تعلمتُ القرآن، فأغناني الله عن عمر وعن باب عمر، قال: وأي آية أغنتك؟ قال: قول الله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾.

وروى الثعلبي بإسناده إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل همّ فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ورزقه من حيث لايحتسب[1]. وهذا ما أردنا من

= هذا الحديث: أخرجه أحمد في الزهد وابن ماجه وابن حبان والحاكم من طريق أبي السليل ضُرَيْبُ بنُ نُفَيْر عن أبي ذر مرفوعاً. اهـ

(١) قال الشيخ الألباني في كتابه سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيّء في الأمّة ج ٢ ص ١٤٢ تحت رقم (٧٠٥) ضعيف، وسبب الضعف: «الحكم بن مصعب» مجهول. كما قال الحافظ في التقريب.

فقول: صاحب التاج (١٥٨/٥) سنده صحيح، غير صحيح، ولعلّه أغتر برمز السيوطي له بالصحّة في «الجامع» وقول الحاكم: «صحيح الاسناد»! وغفل أو تغافل عن تعقّب المناوي للسيوطي، بنحو ما ذكرنا.

وعن: تعقّب الذهبي للحاكم بقوله: «قلت: الحكم فيه جهالة».
وكذا قال في المهذّب «ق ٢/١٦٨» أيضاً.
وأخرجه ابن ماجه «٣٨١٩» من هذا الوجه إلاّ أنه لم يذكر عن أبيه. =

الكلام على هذه الآية الكريمة[1].

كلمة ختام المؤلف

والحمد لله، أولاً وآخراً، وباطناً، وظاهراً، وصلواته وسلامه على سيد المرسلين، محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال المصنف: رحمه الله ورضي عنه، فرّغتها يوم الخميس، صلاة الظهر الثاني والعشرون من جمادى الآخرة عام تسعة عشر وسبعمائة ولسان

= وأقول: وما رواه شيخنا الفاكهاني برواية «من أكثر» وافق فيها رواية الإمام أحمد والحاكم كما ذكر ذلك أستاذنا الألباني في ضعيف الجامع تحت رقم (٥٤٧١) ص٧٨٩ وإن ذكر في ص٨٤١ تحت رقم (٥٨٢٩) رواية أخرى بلفظ «من لزم» في ضعيف الجامع أيضاً كما ذكر رواية «من لزم» أيضاً كلٍ من الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة وأثرها ص١٤٢ ج ٢ تحت رقم (٧٠٥).

والنووي برواية أبي داوود في الرياض ص٥٩٧ تحت رقم (١٨٨٢) تحقيق الألباني.
وضعيف ابن ماجة للألباني ص٣٠٨ تحت رقم (٨٣٤).
وضعيف سنن ابن داوود ص١٤٩ تحت رقم (٣٢٧).

وفي ضعيف الجامع وزيادته للألباني ص٨٤١ تحت رقم (٥٨٢٩). والله أعلم.

(٢) ونختم تعليقنا أيضاً على هذه الآية الكريمة بما ذكره الربيع بن خيثم رحمه الله تعالى بقوله: إن الله تعالى قضى على نفسه، أن من توكل عليه كفاه، ومن آمن به هداه، ومن أقرضه جازاه، ومن وثق به نجّاه، ومن دعاه أجاب له، وتصديق ذلك في كتاب الله ﴿ **ومن يؤمن بالله يهد قلبه** ﴾. [التغابن: ١١]. ﴿**ومن يتوكل على الله فهو حسبه** ﴾. [الطلاق: ٣]. ﴿ **إن تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم** ﴾. [التغابن: ١٧]. ﴿ **ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم** ﴾. [آل عمران: ١٠١]. ﴿ **وإذا سألك عبادي عني فإني قريب** ﴾. [البقرة: ١٨٦].

وكيف لا نتوكل على الله؟والله بالغ ما يريد؛ قد جعل الله لكل شيء قدراً لا يتعداه بحال، فلا يبقى إلاّ التسليم والتوكل على الله حق التوكل، وهذا تأكيد وتقرير لقبول أحكام الله. اهـ جزء ٢٨/٥٦ التفسير الواضح.

حالي يقول:

وصفتَ التُّقى حتّى كأنَّكَ ذو تُقى وريحُ الخطايا من ثيابِك يَسْطَعُ

وكان الفراغ من نسخها في يوم الجمعة رابع جمادى الأولى من شهور سنة ٩٧٨ أحسن الله لمؤلفها على يد الفقير إلى الله تعالى عبد الرحمن الأرتيري بالجامع الأزهر المعمور راجياً من فيض ربه الكريم، أن يرزقه التقوى بمنه وكرمه، وإخوانه، وأولاده، وذويه، وأن يحسن الخاتمة، وأن يكفينا شر الدنيا وعذاب الآخرة، ولمن طالعها ودعا لكاتبها، بالرحمة ولجميع المسلمين، والحمد لله رب العالمين. اهـ

(*) في ختام عملنا نسأله تعالى أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين آمين.

وكتبه تعليقاً: أبو محمد ماهر محمد يحيى بيدق غفر الله له ولوالديه وللمؤمنين

مراجع التحقيق

١ـ القرآن العظيم: بخط عثمان طه.

ا ـ مع تفسير وبيان

ب ـ وأسباب النزول للسيوطي

ج ـ مع فهارس كاملة للمواضيع والألفاظ

إعداد: د. محمد حسن الحمصي ـ طبع دار الرشيد دمشق ـ توزيع وزارة الأوقاف ـ الكويت.

٢ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. وضعه محمد فؤاد عبد الباقي ـ طبع بيروت مؤسسة جمال للنشر كان حياً سنة (١٩٣٠) أثناء طبعه لمعجمه.

٣ـ تفسير الماوردي: المسمى النكت والعيون ـ لأبي الحسن علي بن حبيب الماوردي البصري (ت ٣٦٤ ـ ٤٥٠ هـ). تحقيق الشيخ خضر محمد خضر ـ راجعه د. عبد الستار أبو غدّة طبع الكويت مقهوي طبعة أولى سنة (١٩٨٢).

٤ـ تفسير الكشاف المسمى حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري (ت٥٣٨ هـ) الناشر دار الكتاب العربي بيروت.

٥ـ تفسير القرآن العظيم للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) قدّم له فضيلة الشيخ عبد القادر الأرناؤوط ـ حفظه الله تعالى.

٦- تفسير الدرر المنثور في التفسير المأثور للإمام السيوطي (ت ٩١١).
إشراف دار الفكر لبنان ط أولى سنة (١٩٨٣ م).
٧- تفسير القرطبي المسمى الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي. الناشر دار الكتاب العربي.
٨- تفسير الجلالين للعلاّمة جلال الدين محمد بن أحمد المحلي.
والعلاّمة جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. (٩١١ ت).
طبع: دار المعرفة بيروت طبعة أولى سنة (١٩٨٣ م).
٩- تفسير الفتوحات الإلهيّة بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية.
للشيخ: سليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجمل. مطبعة حجازي القاهرة سنة (١٩٣٤ م).
١٠- تفسير الصاوي على الجلالين لأحمد الصاوي المالكي. طبع دار إحياء الكتب العربية لعيسى البابي الحلبي.
١١- تفسير النسفي المسمى: مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي. طبع: دار المعرفة بيروت.
١٢- تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل. لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي المعروف بالخازن. طبع: دار المعرفة بيروت.
١٣- التفسير الواضح: لمحمد محمود حجازي طبعة رابعة سنة (١٩٦٨ م).
القاهرة مطبعة الاسنقلال الكبرى.
١٤- المعجم المفهرس: لألفاظ الحديث النبوي عن الكتب الستة وعن مسند الدارمي وموطأ مالك ومسند أحمد بن حنبل. طبع دار الدعوة استنبول سنة (١٩٨٦ م).
١٥- فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني (ت ٧٧٣ - ٨٥٢) طبعة ثالثة بالمطبعة السلفية القاهرة تحقيق وإخراج وتبويب وفهرست مجموعة من كبار العلماء.

١٦ـ صحيح مسلم بشرح الإمام النووي ٦٣١ ـ ٦٧٦ . طبع دار إحياء التراث العربي.
١٧ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى. طبع المكتب الإسلامي. (١٦٤ ـ ت ٢٤١).
١٨ـ نور الاقتباس في مشكاة وصية النبيﷺ لابن عباس.
تصنيف ابن رجب الحنبلي (٧٣٦ ـ ٧٩٥ هـ).
تحقيق وتعليق الشيخ محمد بن ناصر العجمي. الطبعة الوحيدة الكاملة.
طبع دار البشائر الإسلامية بيروت سنة (١٩٨٩ م).
١٩ـ مخطوط: مختصر المنهج المبين في شرح الأربعين. للشيخ تاج الدين الفاكهاني رحمه الله تعالى (٧٣٤) وسسيصدر قريباً بتحقيقنا. إن شاء الله تعالى.
٢٠ ـ شرح الأربعين النووية الصحيحة النبوية للإمام النووي (٦٣١ ـ ٦٧٦ هـ).
تصنيف الأستاذ محمود الأرناؤوط مراجعة الشيخ عبد القادر الأرناؤوط.
طبع دار ابن كثير. دمشق.
٢١ـ كشف الخفا ومزيل الألباس عمّا اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس.
للمفسّر المحدّث الشيخ اسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي (١٠٨٧ ـ ١١٦٢ هـ).
طبعة ثانية بيروت ـ طبع دار إحياء التراث العربي سنة (١٣٥١ هـ).
٢٢ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها للشيخ الألباني حفظه الله تعالى طبعة رابعة سنة (١٩٨٥ م) طبع المكتب الإسلامي.

٢٣- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة للشيخ الألباني طبع مكتبة المعارف الرياض - طبعة رابعة سنة (١٤١٨ هـ).
٢٤- صحيح سنن ابن ماجه للألباني طبعة ثانية إشراف المكتب الإسلامي بيروت (٢٠٩ - ٢٧٣ هـ).
٢٥- صحيح سنن النسائي للألباني (ت ٣٠٣ هـ) إشراف وتعليق وفهرست الأستاذ زهير الشاويش طبع المكتب الإسلامي بيروت.
٢٦- رياض الصالحين للإمام النووي (٦٣١ - ٦٧٦ هـ) تحقيق الألباني طبع المكتب الإسلامي طبعة ثالثة سنة (١٩٨٦ م).
٢٧- شرح الأربعين النووية (٦٣١ - ٦٧٦ هـ). تقديم وتعليق الأستاذ: أسامة عبد الكريم الرفاعي.
طبع مؤسسة دار العلوم لخدمة الكتاب الإسلامي بيروت.
٢٨- ضعيف الجامع الصغير وزيادته «الفتح الكبير». طبعة مجدّدة ومنقّحة للألباني. إشراف زهير الشاويش طبعة ثالثة (١٩٩٠ م) المكتب الإسلامي. (٢٠٢ - ٢٧٣ هـ).
٢٩- ضعيف سنن أبي داوود للألباني إشراف زهير الشاويش طبعة أولى المكتب الإسلامي (٢٠٩ - ٢٧٣ هـ).
٣٠- ضعيف سنن ابن ماجه للألباني إشراف زهير الشاويش طبعة أولى المكتب الإسلامي (ت ٣٠٣ هـ).
٣١- ضعيف سنن الترمذي للألباني إشراف زهير الشاويش طبعة أولى المكتب الإسلامي.
٣٢- إحياء علوم الدين تصنيف الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت سنة ٥٠٥ هـ) طبع دار المعرفة بيروت.
٣٣- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للحافظ أبي نُعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني (ت ٤٣٠ هـ) طبع دار الكتب العلمية بيروت.

٣٤ـ الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي. طبعة أولى سنة (١٩٨٩ م) طبع دار القلم دمشق تأليف مجموعة من كبار العلماء.
٣٥ـ كتاب سير أعلام النبلاء للذهبي.
٣٦ـ أساس البلاغة للإمام جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨) تحقيق الأستاذ عبد الرحيم محمود تعريف أمين الخولي طبع دار المعرفة بيروت سنة (١٩٧٩ م).
٣٧ـ لسان العرب المحيط للعلاّمة ابن منظور (٦٣٠ ـ ٧١١ هـ) إعداد وتصنيف يوسف خياط ونديم مرعشلي. طبع دار لسان العرب ـ بيروت.
٣٨ـ كتاب الإفصاح في فقه اللغة تأليف حسين يوسف موسى وعبد الفتاح الصعيدي طبع دار الفكر العربي ـ بيروت.
٣٩ـ الصحاح في اللغة والعلوم ـ معجم وسيط ـ تجديد صحاح العلاّمة الجوهري. إعداد نديم وأسامة مرعشلي. طبعة أولى سنة (١٩٧٥ م) طبع دار الحضارة العربية ـ بيروت.
٤٠ـ المعجم الوسيط إشراف عبد السلام هارون طبع مجمع اللغة العربية القاهرة مطبعة مصر سنة (١٩٦٠ م) إخراج إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وحامد عبد القادر ومحمد علي النجار.
٤١ـ بالإضافة إلى مراجع الترجمة الموجودة في المؤلف رحمه الله تعالى.

فهرس البحث

العنوان	العنوان
ومضة من نور	
مقدمة المحقق	٥
ترجمة المؤلف اسمه ونسبه	٩
ولادته	
مشايخه	
تلاميذه	١٠
حجة سنة ٧٣١ هـ	
ثناء العلماء عليه	١١
ترجمة ابن كثير له	١٢
ترجمة ابن فرحون له	١٣
مؤلفاته	١٤
وفاته	١٥
مراجع الترجمة	١٦
اعتراف بالجميل	١٧
وصف المخطوطة	١٩
راموز الصفحة الأولى للكتاب	٢٠
راموز الصفحة الثانية للكتاب	٢٢
راموز الصفحة الأخيرة للكتاب	٢٣
عملي في التحقيق	٢٤
المقدمة	٢٥

مجمل الكلام على الآية للمؤلف ٢٨
الطرف الأول حقيقة التقوى ٢٩
منازل التقوى ثلاث ٣١
أقسام التقوى ـ فرض ونفل ٣٣
التقوى والأعضاء الخمسة ٣٥
الطرف الثاني لفظ التقوى لغوياً ٤٢
الطرف الثالث الحثّ على التقوى ٤٤
ثمرات التقوى ٤٤
مدار العبادة المطلوبة ٤٦
الطرف الرابع أقوال المفسرين في الآية ٤٩
سبب نزول الآية الكريمة ٥٠
أقوال السلف الصالح في الآية ٥٢
قصّة وفهم جميل ٥٥
كلمة ختام المؤلف رحمه الله تعالى ٥٦
مراجع التحقيق ٥٨
فهرس البحث ٦٣